# قاب قوسين

## وملتقى الناموسين

### في معرفة

## سيد الكونين صلى الله عليه وسلم


تأليف

الشيخ الإمام القطب عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري

(المتوفى سنة ٨٣٢ هـ)



دار الآفاق العربية



تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

# قاب قوسين

## ومُلتقى النّاموسين

في معرفة

## سيّد الكونين ﷺ

تأليف

الشيخ الإمام القطب عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي القادري

(المتوفى سنة ٨٣٢ هـ)

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

دار الآفاق العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل الحقيقة المحمدية أصل المكونات، ومستمداً لجميع الموجودات، نحمده تعالى ونشكره، ونستعينه سبحانه ونستغفره مما ارتكبنا من السيئات، ونؤمن به ونتوكل عليه في الماضي والحال والآت.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرضين والسموات.

ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ومصطفاه من خلقه وخليله شفيع الخلائق ومنجيهم من الكربات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المبوئين بصحبته أعلى الدرجات.

**وبعـــد ..**

فهذا كتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين وهو الجزء العاشر من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النَّبي ﷺ للشيخ العارف بالله تعالى: سيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي الكيلاني الصوفي عمَّت بركاته.

فالكتاب جزء من أنوار حقيقة المصطفى المختار ﷺ، حيث معرفة شيء من الحقيقة المحمدية التي لا يدرك كامل قدرها إلا الله، وإنما خُصَّ من اختص الله، من أولياء الله الورثة المحمديين لرسوله الله ﷺ، ممن أفاض عليهم من بحر علمه، وهُداه.

فلاَحت منهم إشارات، وتلفظوا بعبارات، تُوضح للسالك المحب عن معرفة نبي الله وخاتم رسله ومصطفاه ﷺ.

وما هو إلا ذوقٌ وفتحٌ لمن أنعم الله عليه بفضله الواسع وجزيل رضاه.

وكان من الأئمة الأقطاب المتحقيقين بحقائق الكتاب، والمفتوح عليهم من حضرة المصطفى ممد الكل بنوره العُجاب، السيد الكريم عبد الكريم سبط القطب العظيم الجيلي.

أُفيض عليه بالتصنيف في الحقيقة المحمدية، بالمعرفة والتصريف، فخط بكلمه ونطق بلسان الحجة ما خُط في تصانيفه.

فأتحفنا بهذا السفر المبارك الذي هو من أعظم الرسائل إجلالاً مع صغر حجمه، إلا أنه نور من نور النور ﷺ.

ولهذا قمنا مسارعين لتحقيقه وضبط نصه ضبطًا علميًّا صحيحًا إن شاء الله تعالى.

ثم التخريج لأحاديثه، والعزو لآياته، والتعليق ما أفاض الله علينا من فيضه وفضله.

وعمل مقدمة تشمل التعريف بالكتاب، وشرح اسمه ومضمونه، والتعريف بالشيخ المصنف ﷺ، وفهرس لآيات الكتاب، وأحاديثه، وموضوعاته، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

هذا.. وأنا أستغفر الله تعالى مما يعلمه مني من التعدي، وأسأله جلَّ جلاله مع ذلك ألا يؤاخذني مما انطوى عليه ضميري من أنواع القبائح والمعائب التي مني ولا أعلمها أو أعملها، ولا تسمح نفسي بالمنتقى منها والتنـزُّه عنها؛ اغترارًا مني بحلمه، وأن ينفعني ببركات شيخي: **أبو محمد مصطفى بن عبد السلام الملوي** قدس الله سره، وكل ولي على وجه الأرض أو في بطنها، وأن يمدَّني من مددهم جميعًا، وأن يحشرني معهم، ولا يخالف بي عن طريقتهم، وأرغب إليه جلَّ وعلا أن يمنَّ عليَّ بتوبةٍ تمحو عني كل حوبة، وأن يغفر لي ولوالدي، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، إنه أكرم الأكرمين.

صلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتـــبه: أحمـــد فريد المزيدي الأزهري الشافعي الأكبري القادري المصطفوي، بداره الحقيقة المحمدية لتحقيق تراث السادة الصوفية: (٠١٠١٤٦٣٠٢٧) بالقاهرة.

# ترجمة الشيخ المصنف

هو العالم بالله تعالى الوارث المحمدي سيدي قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي أو الجيلاني؛ نسبةٌ إلى قرية جيل.

وهي تقع قي الجزء الغربي من بلاد فارس.

ولد ببغداد سنة ٧٦٧ هـ/ ١٣٦٥ م.

زار الهند، ثم عاد إلى بغداد حيث توفي سنة ٨٣٢ هـ، /١٤٢٨ م.

وهو سبط السلطان المحمدي سيدي عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرُّه، جده قطب الأقطاب سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره:

وهو السيد الجليل الحسيب النسيب أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ابن أمير المؤمنين الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وُلد سنة سبعين وأربعمائة، وتُوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة، وله من العمر إحدى وتسعون سنة.

وحُكي عن أمه رضي الله عنها، وكان لها قدمٌ في الطريق أنها قالت: لما وضعت ولدي عبد القادر كان لا يرضى يلقم ثديي في نهار رمضان، ولقد عمَّ على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم: إن ولدي لم يلقم اليوم ثديًا، ثم اتَّضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه وُلد للأشراف ولدٌ لا يرضع في نهار رمضان.

وكان ﷺ يلبس لباس العلماء، ويتطيلس ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديه، ويتكلم على كرسي عال، وربما خطى في الهوى خطوات على رؤوس الأشهاد الناس، ثم يرجع إلى الكرسي.

وكان يقول: بقيت أيامًا لم أستطعم فيها بطعامٍ، فلقيني إنسان فأعطاني جرة فيها دراهم، فأخذت منها خبزًا سميذًا وخبيصًا، فجلست آكل فإذا برقعة فيها مكتوب: قال الله تعالى في بعض كتبه السالفة: «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي؛ ليستعينوا بها على الطاعات، أما الأقوياء فما لهم والشهوات» فتركت الأكل وانصرفت.

وقال له رجلٌ مرة: كيف الخلاص من العجب؟ فقال: مَنْ رأى الأشياء من الله تعالى وهو الذي وفّقه لعمل الخير، وأخرج نفسه من البين، فقد سلم من العجب.

وقيل له مرة: ما لنا نرى الذباب تقع على ثيابك؟ فقال: على أي شيءٍ يعمل الذباب عندي، وما عندي شيء من دنس الدنيا ولا عسل الآخرة!.

وكان يقول: أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستي خفّف الله عنه العذاب يوم القيامة.

وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه به، فقال: إنه رآني مرة ولا بدَّ أن يرحمه الله تعالى لأجل ذلك، فمن ذلك الوقت ما سُمع له صراخ.

وتوضأ يومًا فبال عصفور عليه، فرفع رأسه إليه وهو طائرٌ فسقط ميتًا، فغسل الثوب ثم باعه وتصدَّق بثمنه، وقال: هذا بهذا.

وكان يقول: يا رب كيف أهدي لك روحي وقد صحَّ أن الكل لك؟!.

وكان يتكلّم في ثلاثة عشر علمًا، وكانوا يقرؤون عليه دروسًا من التفسير، ودروسًا من الحديث، ودروسًا من المذهب، ودروسًا من الخلاف والأصول والنحو.

وكان يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتي على مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل ﷺ، وكانت فتاواه تُعرض على علماء العراق فيتعجبون منها أشد الإعجاب ويقولون: سبحان من أنعم عليه!.

ورُفع له سؤال في رجلٍ حلف بالطلاق أنه لا بدَّ أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون

جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات، فأجاب عنه على الفور يأتي مكة ويخلي له الطواف، ويطوف أسبوعًا وحده فينحل بيمينه، فأعجب علماء العراقيين، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها.

ورفع إليه شخص سؤالاً أنه يرى الله ﷻ بعين رأسه، فقال: أحق ما يقولون عنك؟ فقال: نعم، فانتهره وأهانه عن هذا القول، وأخذ عليه العهد أنه لا يعد إليه، فقيل للشيخ: أمحقٌّ هذا أم مبطلٌ؟ فقال: هو محقٌّ ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم انخرق من بصيرته إلى بصره منفذ، فرأى بصره بصيرته، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظنَّ أن بصره رأى ما شهد به بصيرته، وإنما رأى بصره بصيرته فقط وهو لا يدري.

وكان يقول: ترائى لي نور عظيم ملأ الأرض، ثم بدت لي صورة تناديني: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات، فقلت: اخسأ يا لعين فإنك شيطانٌ، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال لي: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بحكم ربك، وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه سبعين من أهل الطريقة، فقلت: لله الفضل، فقيل له: كيف علمت أنه شيطانٌ؟ فقال: بقوله: قد حللت لك المحرمات؛ إن الله لا يأمر بالفحشاء.

ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أدباء بغداد؛ ليمتحنوه في العلم، فجمع كل واحدٍ منهم سؤالاً وجاءوا إليه، فلمَّا استقرَّ بهم المجلس أطرق الشيخ رأسه فظهرت من صدره بارقة من نورٍ، فمرَّت على صدور المائة فمسحت ما في قلوبهم، وبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزَّقوا ثيابهم، وكشفوا رؤوسهم، ثم صعد المنبر وأجاب الجميع عمَّا كان عندهم، واعترفوا بفضله.

وكان من أخلاقه مع جلالة قدره يقف مع الصغير والجارية، ويجالس الفقراء، ويفلي ثيابهم، وكان لا يقوم قط لأحدٍ من العلماء ولا لأعيان الدولة، ولا أَلَمَّ قط بباب وزير ولا سلطان، وكان يرى الجلوس على بساط الملوك، ومن داناهم من العقوبات المعجلة للفقير،

وكان إذا جاءه الخليفة أو الوزير يدخل الدار ثم يخرج حتى لا يقوم لأحدٍ؛ إعزازًا للطريق في أعين الفقراء.

وكان الشيخ علي الهيتي ﷺ يقول عن الشيخ عبد القادر الكيلاني: كان قدمه على التفويض والموافقة مع التبري من الحول والقوة، وكانت طريقته تجريد التوحيد مع الحضور في موقف العبودية.

وكان الشيخ عدي بن مسافر الأموي ﷺ يقول: طريق الشيخ عبد القادر الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح، واتحاد الظاهر والباطن، والسلامة من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضر في القرب والبعد.

وكان الشيخ بقا بن بطو ﷺ يقول: كان طريق الشيخ عبد القادر اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والوقت، ومعانقة الإخلاص والتسليم، وموافقة الكتاب والسُّنة في كل نفسٍ وخطرةٍ ووارِدٍ وحال والثبوت مع الله ﷻ.

وعنه ﷺ أيضًا كانت قوة الشيخ عبد القادر في طريقه إلى ربِّه كقوى جميع أهل الطريق شدةً ولزومًا، وكانت طريقته التوحيد وصفًا وحكمًا وحالاً، وحقيقته الشرع ظاهرًا وباطنًا، ووصفه قلب فارغ، وكون غائب، ومشاهدة رب حاضر بسريرةٍ صافيةٍ لا تتجاذبها السلوك، وسر لا تـــنازعه الأغيار، وقلب لا يفارقه البقايا.

وكان الشيخ أبو الفتح الهروي ﷺ يقول: خدمت الشيخ عبد القادر أربعين سنة، وكان في مدتها يصلّي الصبح بوضوء العشاء، وكان كلما أحدث جدَّد في وقته وضوء ثم صلّى ركعتين، وكان يصلّي العشاء ويدخل خلوته، ولا يمكّن أحدًا يدخلها معه، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر، وقد أتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلاً فلم يتيسَّر له الاجتماع به إلى الفجر، وقال: بتُّ عنده فرأيته يصلّي أوَّل الليل يسيرًا، ثم يذكر الله تعالى إلى أن يمضي الثلث الأول، ويقول: المحيط الرَّب الشهيد المجيب الفعَّال الخلَّاق الخالق البارئ المصوِّر، فتطاول جثته مرَّة، وتنضاك مرَّة، وتعظم مرة، ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري مرة، ثم يصلّي قائمًا على قدميه يتلو القرآن حتى يذهب الثلث الثاني،

وكان يطيل سجوده جدًّا، ثم يجلس متوجهًا مراقبًا مشاهدًا إلى قريب طلوع الفجر، ثم يأخذ في الدعاء والابتهال والتضرُّع والتذلُّل، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب عن الأبصار.

قال: وكنت أسمع عنده: سلام عليكم، وهو يرد السلام إلى أن يخرج لصلاة الفجر.

وكان ﷺ يقول: أقمت في صحراء العراق وخرابه خمسًا وعشرين سنة متجرِّدًا سائحًا، لا أعرف الخلق ولا يعرفوني، وكانت طوائف من رجال الغيب أعلمهم الطريق إلى الله تعالى، ووافقني الخضر عليه السلام في أوّل أمري ودخولي العراق وما كنت عرفته، وشرط عليَّ ألا أخالفه وقال: اقعد ها هنا، فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنةٍ مرَّة، ويقول لي: اقعد مكانك حتى آتيك، قال: ومكثت سنة في خراب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فآكل المنبوذ ولا أشرب الماء، ومكثت فيها سنة أشرب الماء ولا آكل المنبوذ، ومكثت سنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام.

واجتمع عنده مرة الفقراء والفقهاء في مدرسته النظامية فتكلّم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلّم إذ سقطت حيَّة عظيمة في حجره من السقف، ففرَّ منها كل من كان حاضرًا عنده ولم يبقَ إلا هو، فدخلت الحيّة تحت ثيابه ومرَّت على جسده، وخرجت من طوقه والتفَّت على عنقه، وهو مع ذلك لم يقطع كلامه، ولا غيَّر جلسته، ثم نزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوَّتت، ثم كلمها بكلامٍ لم يفهمه الحاضرون، ثم ذهبت فرجع الناس فسألوه عما قالت، فقال: قالت لي: اختبرت كثيرًا من الأولياء فلم أرَ مثل ثباتك، فقلت لها: وهل أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر الذي أتكلم فيه! قال ﷺ: ثم إنها جائتني بعد ذلك وأنا أصلّي ففتحت فمها موضع سجودي، فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت، فالتفَّت على عنقي ثم دخلت من كمِّي وخرجت من الكم الآخر، ثم دخلت من طوقي ثم خرجت، فلما كان الغد دخلت خربة، فرأيت شخصًا عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني، فقال لي: أنا الحية التي رأيتها، ولقد اختبرت كثيرًا من الأولياء بما اختبرتك به فلم يثبت لي أحد منهم كثباتك، وكان منهم من اضطرب باطنه وثبت ظاهره، ومنهم من اضطرب ظاهرًا وباطنًا، ورأيتك لم تضطرب لا

ظاهرًا ولا باطنًا، وسألني أن يتوب على يدي فتوّبته.

قال ابن الأخضر ﷺ: وكنا ندخل على الشيخ عبد القادر ﷺ في الشتاء وقوة البرد وعليه قميصٌ واحدٌ، وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروِّح عليه بمروحه كما يكون في شدة الحر، وكان يقول لأصحابه: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تفرقوا، وانتظروا ولا تيأسوا، واجتمعوا على الذِّكر ولا تفرقوا، وتطهَّروا من الذنوب ولا تلطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا.

وكان يقول: إذا أقامك الله تعالى في حالةٍ فلا تختر أعلى منها ولا أدنى.

ولما حضرت وفاته استوصاه ولده الشيخ عبد الوهاب، فقال له: عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحدًا سواه، ولا ترجه، وكِّل الحوائج كلها إلى الله واطلبها منه، ولا تثق بأحدٍ سوى الله تعالى، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه وتعالى، التوحيد التوحيد التوحيد، وجماع الكل التوحيد.

وقال ﷺ في مرض موته: إذا صحَّ القلب مع الله ﷻ لا يخلو منه شيء، ولا يخرج منه شيء، أنا لب لا قشور، وقال للأولاد: ابعدوا من حولي؛ فقد حضر عندي غيركم، فأوسعوا لهم، وتأدَّبوا معهم، ها هنا زحمة عظيمة، فلا تضيِّقوا عليهم المكان.

قال الشيخ عفيف الدين، وسأله بعض ولده عمَّا يجده فقال: لا يسألني أحدٌ عن شيءٍ، أنا هو ذا، أتقلب في علم الله تعالى.

وأخبرني ولده عبد الرزاق وموسى ﷺ أنه كان يرفع يده ويمدها ويقول: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته، ادخلوا في الصف، هو إذًا أجنح إليكم.

وكان يقول: ارفقوا ارفقوا، ثم أتاه الحق وسكرة الموت، فكان يقول: استعنت بالحي القيوم الذي لا يموت ولا يخشى الفوت، سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

وقال ولده موسى: ولما قال (تعزَّز) لم يؤدها لسانه على الصِّحة، فما زال يكرِّرها

حتى قال: (تعزز) ومدَّ بها صوته وشدّدها حتى صحَّ لسانه بها، ثم قال: الله الله، ثم خفي صوته ولسانه ملتصقٌ بسقف حلقه.

تُوفي ﷺ ليلة السبت ثامن ربيع الآخر، ودُفن ببغداد ﷺ وقدَّس سره.

وانظر: خلاصة المفاخر لليافعي، والروض الزاهر، والسيف الرباني لابن عزوز، وقلائد الجواهر للتاذفي، وبهجة الأسرار للشطنوفي، والروض الزاهر، كلها في مناقب سيدي عبد القادر، وهي بتحقيقنا، وكذلك سر الأسرار، وفتوح الغيب للشيخ بتحقيقنا.

سلك الطريق على يد الولى الكامل المقرَّب سيدي إسماعيل الجبرتي قُدِّس سرُّه:

فشيخه سيدي الشيخ الصالح الولي العارف، والقطب الغارف، المتحقق بالأسرار والمعارف، الأصيل شيخ الشيوخ أبو المعروف: إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي الزبيدي.

كان ﷺ قرشيًا هاشميًّا عقيليًّا، خلف سبعين شيخًا متوجًا إلى عقيل بن أبي طالب ﷺ.

ولدَ بزبيد في شعبان سنة ٧٢٢ هـ.

وولده أبوه بالجبرت، وكان أبوه من الأولياء الأكابر المكنين في التصرف في البرزخ.

وتوفي الشيخ ﷺ وهو يقرأ سورة يس أول وقت العشاء، ليلة الأرباعء لتسع ليالٍ خلون من شهر رجب الفرد سنة ستٍ وثمانمائة، وشهد جنازته جميع الطوائف من الشيوخ والفقهاء والقضاة والعلماء والوزراء وخاصة الناس وعامتهم، ولم يبق في البلد إلا من منعه مانع، وحضر خلائق كثيرون من أهل البادية وصلوا عليه في الصحراء عند قبره لكثرة من بجنازته، وكان له مشهد عظيم ومحضر مبارك كريم، ودفن بظاهر زبيد في أول يوم الأربعاء ﷺ.

وقد عدَّ الشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل ٣١٠ كرامة له، وحكى ذلك مع ذكر المبشرات الخاصة بالشيخ الجبرتي ﷺ، وذلك في كتابه: «الكرامات الجبرتية» أتم الله لنا تحقيقه. وهو من أنفع وأكبر الكتب في نوعه.

هذا.. وكان الشيخ الجيلي ﷺ عالمًا بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، إلا أنه اشتهر عنه بالكتابة في علم الحقيقة، وكان كثير التعظيم والمحبة للشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه.

**ومن كراماته العظيمة التي كانت تقع له أثناء السلوك:** أن رسول الله ﷺ كان يأتيه في اليقظة في صورة شيخه سيدي إسماعيل، فيُكَلم الشيخ ويُبَاسطه، والشيخ يُكلِّمه ويُباسطه، والشيخ لا يعلم أنه مع رسول الله ﷺ يتكلَّم، فإن علم بعد ذلك حَصلَ له قبضٌ من هذا المشهد؛ حياءً من السيد الأعظم ﷺ.

وله قُدِّس سرُّه في علوم القوم مؤلفاتٌ كثيرةٌ تنبِئ عن جزءٍ من علمه، وعظمته، وكمال معرفته، ووراثته.

ومنها:

- كتابه الأكرم الأفخم المسمى: بـ «**الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ**»، وهو في أربعٍ وأربعين جزءًا، معظم ما نسب إليه من مؤلفاتٍ إنما هو عبارةٌ عن جزءٍ معينٍ من هذا الكتاب العظيم.

- الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية (طبع).

- لسان القدر بنسيم السحر (طبع بتحقيقنا).

- قاب قوسين وملتقى الناموسين، (كتابنا هذا).

- مراتب الوجود (طبع).

- الكهف والرقيم الكاشف عن أسرار بسم الله الرحمن الرحيم (طبع).

- النواظر الإلهية (طبع).

- سر النور المتمكن شرح حديث المؤمن مرآة المؤمن (تحت الطبع بتحقيقنا).

- لوامع البرق الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، في ثمانية أبواب على لسان أهل الإشارات (تحت الطبع بتحقيقنا).

- زلفة التمكين.

- بداية مبحث في معرفة الله.

- السفر القريب نتيجة السفر الغريب.

- الأربعون في أحوال الصوفية.

- عقيدة الأكابر (طبع).

- روضة الواعظين.

- كشف الغايات عن سر التجليات.

- شرح مشكلات الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.

- شرح أسرار الخلوة للشيخ.

- جنة المعارف وغاية المريد والعارف.

- الغايات في معرفة معاني الآيات والأحاديث المتشابهات.

- كشف الغايات شرح التجليات للشيخ (طبع).

- الإنسان الكامل، وهو أشهرها (طبع مرارًا).

- قطب العجائب وفلك الغرائب.

- المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية.

- الخضم الزاخر والكنـــز الفاخر في تفسير القرآن.

- الكنـــز المكتوم الحاوي على سر التوحيد المجهول والمعلوم.

- غنية أرباب اللسماع في كشف القناع من وجه الاستماع (طبع).

- الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار للشيخ الأكبر (طبع).

- حقيقة الحقائق في سر النقطة التي هي من وجه للحق ومن وجه للخلائق (تحت الطبع بتحقيقنا).

- الدرة العينية في الشواهد الغيبية، وهي القصيدة العينية ٥٣٣ بيتًا (طبع بتحقيقنا).

وغير ذلك، نفعنا الله بعلومهم في الدارين، آمين.

وكان شديد التمسُّك بالشرع الشريف، مؤيِّدًا علومه بالكتاب والسنة.

وفي ذلك قال في مقدمة كتابه «الإنسان الكامل»:

«ثم ألتَمسُ من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أُعلِمَهُ أني ما وضعت شيئًا في هذا الكتاب إلا وهو مؤيَّدٌ بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أنه إذا لاح له شيءٌ في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله، فليتوقف عن العمل به مع التسليم، إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهدٌ من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار ألا يُحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإن من أنكر شيئًا من علمنا هذا حُرِم الوصول إليه ما دام منكرًا، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويخشى عليه حرمان الوصول إليه بالإنكار أول وهلةٍ، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم».

**قلت**: انظر رحمك الله في قول الشيخ: «فليتوقف عن العمل به»: أي إذا لم تستطع أنت أن تقم الشاهد من الكتاب أو السنة فأمرك الشيخ بترك العمل، ولم يأمر الشيخ بالعمل إلا بعد التأييد بالشرع، مع العلم أن تلك المخالفة المتوهمة هي من حيث فهمك، لا

من حيث حقيقة قول الشيخ، وإنما أوجب الشيخ ترك العمل لأن نظر الشيخ أوسع، ومعاملته مع الله أدقُّ، ومن أين يعي الجاهل مثل تلك المعاملة؟! ليت شعري! كيف يتهم أمثال هذا السيد من أكابر القوم رضي الله عن جميعهم بمخالفتهم لكتابٍ أو سنَّة، والله إن لم يكن هؤلاء هم أهل القرآن المتلبسون بالسنة فما اقتدى برسول الله أحدٌ، كان الله لأوليائه، ما أصبرهم على جهل من جَهِلَ عليهم! اللَّهُمَّ فهمنا عنك؛ فإنا لا نفهم عنك إلا بك، وارزقنا اللَّهُمَّ الإيمان الكامل بعلوم هؤلاء السادة، واحفظ ذلك علينا إلى أن نلقاك.

**وانظر في ترجمته:**

- جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/٣٦٦).
- الأعلام للزركلي (٤/١٧٥).
- معجم المؤلفين لكحالة (٥/٣١٣).
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٧/٢٤٨).
- الشيخ عبد القادر وأعلام القادرية لدرنيقة (٢٢٨).
- الانتصار للأولياء الأخيار للكردي، ترجمة الشيخ عبد القادر (بتحقيقنا).
- الكرامات الجبرتية للأشكل (بتحقيقنا).
- مقدمات بعض كتبه ﵁.

***

# من تفسيرات القوم

## لقاب قوسين وملتقى الناموسين

قال الشيخ القاشاني عند كلامه عن معنى القرب: فالتمييز بين قوسي الحقانية والعبدانية في القرب المفرط إن كان خفيًّا يعبر عنه بـ «قاب قوسين».

وإن كان أخفى يعبر عنه بـ «أو أدنى».

ومن هنا قال قدس سره: وقد يطلق على حقيقة: «قاب قوسين»، فالتجلي بحكم هذا القرب، إن كان في مادة وصورة، تتبعها القرب في النسبة المكانية، في مجلس الشهود، وإن كان في مجلس الشهود، وإن كان في غير مادة، كان قرب المنزلة والمكانة، كقرب الوزير من الملك .. فافهم.

وقال الشيخ محمد بن عمر القادري في شرحه للصلاة الأكبرية: اعلم أن قاب قوسين مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي المسمى دائرة الوجود كالإبداء والإعادة والنزول، والفاعليَّة، والقابليَّة، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والاثنينية، المعبر عنه بالاتصال، ولا أعلى من هذا المقام إلا مقام أو أدنى لارتفاع الاثنينية، الاعتبار به والتمييز هناك بالفناء المحض، والطمس الكلي للرسوم كلها تنبيه في تفسير الآية، ثم دنا: أي النبي ﷺ من الله تعالى وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة، والترقي عن مقام الروح.

وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام: «لو دنوت أنملة لاحترقت[1]» إذ وراء مقامه ليس إلا الفناء في الذات، والاحتراق بسبحات الجمال لا سبحات الجلال؛ لأن سبحات الجلال هي أنوار تجليات الصفات، وسبحات الجمال هي أنوار تجليات الذات، والاحتراق بالجمال، فتدلى: أي مال إلى الجهة الإنسيَّة بالرجوع من الحق إلى الخلق حال البقاء بعد الفناء، والوجوب الموهب الحقاني، فكان قاب قوسين: أي كان ﷺ مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم إلى قوسين، باعتبار الحق والخلق، والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين، فباعتبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها، والحق تعالى هو النصف الأخير، وباعتبار

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٥٥).

النهاية والتدلي، فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبدًا، والخلق هو القوس الأخير الذي يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذي وهب له.

وهذا ما دامت الإثنينية أو أدنى من مقدار القوسين بارتفاع الاثنينية الفاصلة الموهومة لاتصال أحد القوسين بالآخر، وتحقق الوحدة الحقيقة في عين الكثرة بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة، وهذا نهاية الولاية.

فما أكمل نبيَّنا محمد ﷺ وما أسعدنا به ﷺ، فلله الحمد والمنَّة على هذا النبي الكريم الذي شرف الأكوان ﷺ.

لائحة سدرة المنتهى شهود الخلائق الكونية، وقاب قوسين شهود: (الرقائق الأسمائية) أو أدنى شهود الذات، ورؤيتها شهود لا أكمل منه.

وقال الشيخ الموصلي الكردي حين كلامه على تفضيل الأنبياء في كتابه الانتصار:

وأما الحديثان الصحيحان: «**ما ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى**[1]».

«**من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متَّى فقد كذب**[2]».

فحكمة التخصيص فيهما بيونس تفي توهُّم التفاوت بينهما في القرب من الحق؛ لاختلاف محلهم الصوري برفع نبينا ﷺ إلى **قاب قوسين**، ونزول يونس عليه السلام إلى قعر البحر: أي لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري تفواتًا في القرب والبعد من الله تعالى، بل نسبة كلٍّ إليه واحدة، وإن تفاوت مكانهما لتعاليه سبحانه وتعالى عن الجهة والمكان، فهو نهيٌ عن تفضيل مقيَّد بالمكان لا مطلقًا انتهى.

وقال الشيخ عمر العطار في كشف الأسرار: والتنـــزل لغةً: الانحطاط والهبوط.

والمراد به في اصطلاحهم[3]: تقييد الحق تعالى بالخصوصية، فجمعه حضرة الشيخ لجمعية الخصوصيات وتكثرها، فالتنـــزلات هي تقيدات الحق بالخصوصيات: أي التعينات، فأول تنـــزل كان هو التعين الأول، فإن مرتبته أحط من مرتبة الذات البحت

(١) رواه البخاري (١٦٨١/٤)، والترمذي (٤٣٣/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٨/٧).

(٢) رواه البخاري (١٨٠٨/٤)، والترمذي (٣٧٣/٥).

(٣) أي اصطلاح القوم.

بالاعتبار، وكذا شئونه الذاتية، ثم يتنـــزل الحق تبارك وتعالى إلى مرتبة الواحدية، التي يكون التقيدات فيها ظلال الشئون الذاتية، كما أن تقيدات الصور ظلال الأسماء والصفات؛ لأن رتبة الواحْدية ذات **قوسين**:

- **قوس الأسماء والصفات.**

- **قوس الأعيان والصور.**

وتنـــزل الحق تبارك وتعالى إنما هو بواسطة التعين الأول: أي يتنـــزل من وراء حجابه، ثم يتنـــزل تبارك وتعالى إلى مرتبة العقول والنفوس، فتكون تقيدات الحق فيها صورًا روحانيةً، هي ظلال الأعيان الثابتة، بعد أن كانت سابقًا صورًا وتقيدات معنوية علمية، لكن أول تنـــزله في تلك المرتبة كان إلى العقل الأول، ثم من وراء حجاب تنـــزل تبارك وتعالى إلى مرتبة الخيال المطلق، والتقيدات فيه تكون صورًا محسوسة غير مادية، بل هي أشباح لا يحكم عليها بأنها روحية لصورها الموافقة لصور الحس، ولا يحكم عليها بأنها حسية؛ إذ لا مادة لها، ثم تنـــزل تبارك وتعالى من وراء الصورة المثالية الإجمالية إلى الهباء الذي فتح فيه صور المكونات من العرش إلى الفرش، والتقيدات هنا صور طبيعية وعنصرية، مختلفة اختلافًا لا حصر له ولا عد، حتى انتهى ذلك التنـــزل بالإنسان الكامل؛ إذ هو آخر العالم ظهورًا بالحس، فكان أول التعينات هو بعينه آخر التنـــزلات، فان المتنـــزل وإن كان هو الحق تعالى لكن تنـــزل من وراء التجلّي الذاتي، الذي هو التعين الأول، الذي هو الحقيقة المحمدية؛ إذ الذات البحت مطلق عن كل قيدٍ، فكان المتنـــزل هو التعين الأول.

فأوليته ﷺ عين آخريته: أي وباطنيته عين ظاهريته، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: **﴿هو الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾** [الحديد: ٣].

ثم إنه لا بأس في هذا الموطن من بيان ظهور العالم على الترتيب الذي أظهره تعالى به، فأول ما ظهر العقل الأول والأرواح المهيمة، ثم النفس الكلية: أي اللوح المحفوظ في الشرع، ثم الطبيعة: أي البدء بالشرع، ثم الجسم الكل، ثم العرش وملائكته، ثم الكرسي وملائكته، ثم الفلك الأطلس، ثم فلك المنازل الفلك المكوكب، وقد دخل فيهما الجنة والنار بما فيهما، ثم الأرض، ثم الماء، ثم الهوى، ثم النار، ثم الدخان، وفتق فيه سبع سماوات، منه فلك القمر إلى فلك زحل، ثم ملائكة النار، ثم ملائكة الهوى، ثم ملائكة الماء، ثم ملائكة الأرض، ثم المولدات المعدن والنبات والحيوان، ثم أنشأ الله تعالى جسد الإنسان، ثم

ما ظهر من أشخاص كل نوعٍ من المواليد، ثم الصور المخلوقة من أعمال المكلفين.

ثم لتعلم أن الإنسان الكامل يصعد إلى التعين الأول، ويتنــزل منه.

ويُسمَّى ذلك التنــزل: أي من التعين الأول إلى آخر تقيد بالسير الآفاقي، وإنما كان قلبه ﷺ الشريف التقي آخر تنــزل لكماله، حتى يكون التنــزل المنتهى إليه متصفًا بأحكام كل المراتب، فيحوز الجمعية الكمالية، فتكون كل المراتب مع ما فيها مخلوقة من أجله ﷺ؛ لأنه بهذا التنــزل الآخر جمع الجميع، فكان الكل أجزاؤه، فما وجد إلا لأجل كماله الجمعي، فإن الحق تعالى أراد أن ينظر ذاته بكونٍ جامعٍ يحصر الأمر، فما استعد لذلك إلا الإنسان الكامل عين الحق تعالى، ولا أكمل من المُظهر المحمدي.

فإن قلت: كان كافيًا أن يكون هذا المظهر المحمدي أولاً ويجمع الكل.

قلت: لا تَحمُّل له عليٍ ذلك، على أنه ما تنــزل هذا الأمر الجملي في مرتبةٍ من المراتب إلا وبدأ بحقيقته أولاً، فإنه قد جمع بحقيقته الكل، فما من مرتبةٍ إلا ومنه تفرعت، حتى انتهى ذلك الكمال إليه، فإن في التنــزل نوع كمال؛ إذ ما كان تحت فيه ما في الفوق، فهو ﷺ جمع بآخريته كل كمال، كما جمع في أوليته ذلك؛ إذ الظاهر يدل على الباطن، كما تأخرت رسالته ظاهرًا لأجل أن يحوز فضيلة الكل.

قال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]: أي حتى يكون الكل فيك.

وقال أيضًا: وأمهات الغيوب التي تظهر التجليات من بواطنها سبعة:

الأول منها: غيب الحق ووجوبه وحقائقه.

والثاني: غيب الخفي المتفصل من الغيب المطلق بالتميز الأخفي في حضرة قاب قوسين أو أدنى.

والثالث: غيب السر المتفصل من الغيب الإلهي بالتميز الخفي في حضرة قاب قوسين.

والرابع: غيب الروح وهو حضرة السر الوجودي المتفصل بالتميز الأخفي في التابع الأمري.

والخامس: غيب القلب وهو موضع تعانق الروح والنفس، ومحل استيلاء السر الوجودي، ومنصة استجلائه في كسوة أحدية جمع الكمال.

والسادس: غيب النفس وهو أنس المناظرة.

والسابع: غيب اللطائف البدنية، وهو مطارح أنظار الكشف بما يحق له جمعًا وتفصيلاً، فقد علمت من تعريف التجلِّي ومما ينبعث عنه أن الذات الأقدس البحت لا تتجلَّى لأحدٍ، ولا يمكن أن تتجلَّى؛ لإطلاقها عن كل قيدٍ حتى عن قيد الإطلاق.

وقال الشيخ جعفر الكتاني: أسرى به ليلاً من المسجد الحرام الأدنى، وعرج به إلى السماوات، وزاد به إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وكلَّمه كفاحًا تكليمًا، وأمدَّه من العلوم اللدنية والكونية بما لا يخطر ببال أحد، ولا هو حاصل في أمنيته، وتممها بالقطرة التي قطرت على لسانه ليلة الإسراء من بحر العلم الأزلي، وبيده الكريمة التي وضعها بين كتفيه تتميمًا.

وقال الشيخ الحرالي في إبداء الخفا: فهو ﷺ أوليٌّ التربة أوليٌّ الملكوتية وأوليٌّ كل عالمٍ بقدر ذلك العالم في وفادته على الله، مقتادٌ به لا يصل إلى الله قبله واصلٌ، ولا يفد الله قبله وافدٌ في كل رتبه تفضلاً أو إحاطةً، فكما هو قائد وفد الله في يوم الدنيا فهو قائد وفد الله في يوم البرزخ، كما تحقق من إسرائه ﷺ حيث مرَّ على السماوات السبع وقطع مقامات الملائكة وزجَّ الله به إليه في الحجب زجَّةً قطع بها سبعين ألف حجابٍ من نورٍ وظلمة حتى دنى فتدلَّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وأوحى إلى عبده ما أوحى، وكذلك هو ﷺ في يوم الجزاء لا يقدم القادمون ولا يفد الوافدين على الله حتى يتقدَّمهم.

وقال القاشاني في «شرح تائية ابن الفارض الكبرى[1]» قال في «نقد النصوص» ما نصه: وعبر عن التعين الأول بعض الأكابر من حيث البرزخية المذكورة بحقيقة الحقائق لكليته، وكونه أصلاً لكل اعتبار وتعين وباطن كل حقيقة الإلهية أو كونية، وأصلها الذي انتشأت عنه، وهو سار بكليته فيها بحيث يكون في الإلهية إلهيًّا، وفي الكونية كونيًّا، والكل مظاهره وصور تفصيله.

قال: وسماه بعضهم البرزخ الأكبر الجامع لجميع البرازخ وأصلها الساري فيها، وكني عنده الشرع بمقام أو أدنى، فإنه باطن مقام قاب قوسين أي قرب قوسي الوحدة والكثرة، أو قل الفاعلية والقابلية، أو قل قوسي الوجوب والإمكان وجمعهما وجعلهما دائرة واحدة متصلة لكن مع أثر ما خفي من التميز والتكثر بينهما وباطن هذا المقام وهو مقام أو أدنى،

(١) تحت قيد الطبع، بتحقيقنا، بدار الكتب العلمية بيروت.

من قرب القوسين المذكورين لم يدع أثر التميز والتكثر في دائرة الجمعية بين حكم الأحدية والواحدية أصلاً، وكني عنده بعضهم بالحقيقة المحمدية الثابتة في طاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه حكم اسم أو صفة أصلاً انتهى منهما بلفظهما.

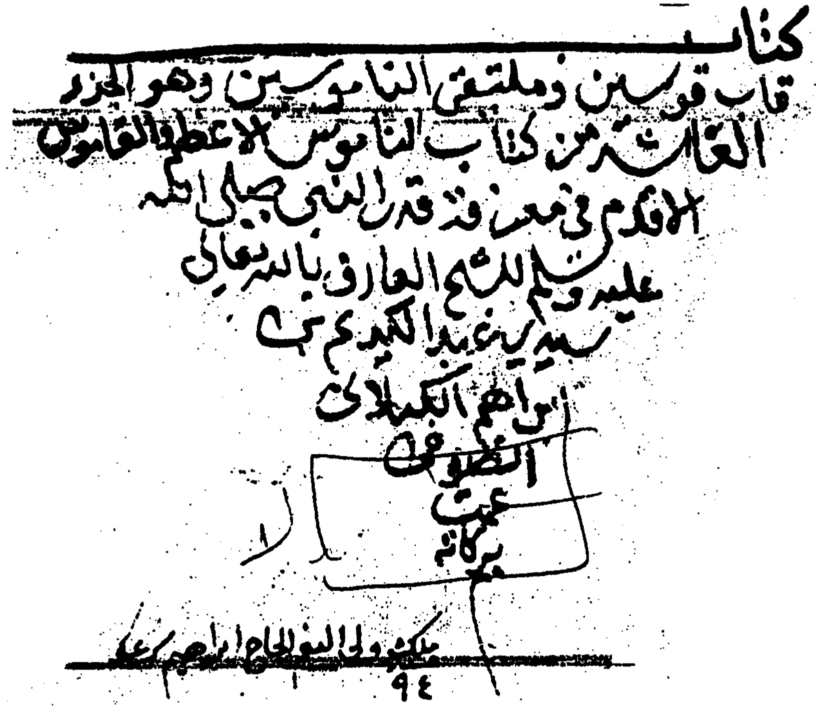
وعبر عنها بالوحدة المطلقة لأن الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء أي يشرط أن يكون معه شيء فهو الأحدية المستهلك جميع الأسماء والصفات فيها والهوية المطلقة ومقام جمع الجمع وإذا أخذ بشرط كل شيء أي بشرط جميع الأشياء اللازمة له كليتها وجزئيتها، وهي المسماة بالأسماء والصفات فهو المرتبة الإلهية المسماة عندهم بالواحدية ومقام الجمع وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لمظاهر الأسماء التي هي الأعيان والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعدادها في الخارج تسمي مرتبة الربوبية، وهي حضرة الأفعال الإلهية وهي معتبرة بعد اعتبار حضرة الألوهية انتهى.

فهو الإنسان الكامل المتحقق بالحقيقة الإنسانية الكمالية هو مظهرها وحضرة الجمع وحضرة المعاني وحضرة التميز والارتسام وحضرة قاب قوسين التي هي برزخية الدنو ومقام الكمال ومرتبة ظهور الأسماء والصفات بأسرارها وأنوارها وفيوضاتها لأنه ظهر فيها وصفه تعالى بأسمائه وصفاته بخواصها ونسبها على جملها وتفصيلها كمًّا وكيفًا إطلاقًا وتقييدًا.

وفي شرح صلاة أبي الفتيان سيدي أحمد البدوي للشيخ العارف العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس لدى قوله فيها صاحب القبضة الأصلية ما نصه: إشارة إلى المقام المحمدي الخاص به ﷺ وهو المسمى بمقام أو أدنى، وهو ولايته الخاصة والمقام المحمدي الثاني يسمى بمقام قاب قوسين، وهو ولايته العامة فلولايته العامة الفيض بواسطته على النبيين والمرسلين والملائكة والأولياء عموماً وخصوصاً حسب مرتبة كل واحد منهم وقابليته.

ومن هنا الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وأنه مرسل للكل وذلك ظاهر في المكلفين وأما غيرهم فمن حيث حقيقته التي هي حقيقة الحقائق ومبدأ البدايات. انتهى والله أعلم.

* * *



كتاب

قاب قوسين وملتقى الناموسين وهو الجزء الثالث من كتاب الناموس الاعظم والقاموس الاقدم في معرفة قدر النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الكريم بن ابراهيم الكيلاني

٩٤



صورة غلاف المخطوط والدائرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل محمداً صلى الله عليه وسلم
مجلاه الأعز الأكمل الأفخر الأفضل الأمجد
الأعظم محل نظره من العالم ومظهر ذاته في بني
آدم ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم
وترجمان صفاته في مخلوقاته بين الحدث
والقدم باللسان الأقدم أكمل كملاء الوجود
المبهم طراز حلة الصورة والمعنى المعلم
وتاج مفرق الجمع المحكم واحد الدهر الأزلي
المدعم سر الله في الوجود وخزانة الكرم والجود
سلطان الخليقتين وحقيقة الرقيقتين
وواحد الوجهين وموصوف الوصفين وحاوي
المعنيين وحائزاً لكليهن من العين والأين
المنفرد بالأكملية صورة ومعنى صاحب
قاب قوسين أو أدنى. شعر

عين الوجود وواحد الموجود مجلى محاسن حضرة المعنى
وحقيقة الاسم الذي لصفاته خضعت ولنعمه

صورة الصفحة الأولى

من الاولياء الى ابوا الله بدين ونتكلم هذه
المقاله اصر هذه الرساله والله الموفق للصواب
واليه المرجع والماب وكان الفراغ
من كتابته يوم الاحد الثاني
والعشرون من شهر محرم الحرام
سنة الف وماية واربعة
عشر من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل
الصلاة وازكى
السلام
تم

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الشيخ المصنف

الحمد لله الذي جعل محمد ﷺ بجلاه الأعز الأكمل الأفخر الأفضل الأمجد الأعظم محلّ نظره من العالم، ومظهر ذاته في بني آدم، ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم، وتُرجمان صفاته في مخلوقاته بين الحدث والقِدم باللسان الأقدم، أكمل كملاء الوجود المبهم، طراز حُلة الصورة والمعنى المعلم، وتاج فرق الجمع المحكم، وواحد الدهر الأزلي المدغم، سرُّ الله في الوجود، وخزانة الكرم والجود، سلطان الحقيقتين وحقيقة الرقيقتين، وواحد الوجهين وموصوف الوصفين، وحاوي المعنيين، وحائز الكمالين من العين والأين، المنفرد بالأكمليَّة صورةً ومعنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى.

شعر:

عَــينُ الوجــودِ وواحدُ الموجُودِ … مجلَــى محاســن حضــرةِ المعبودِ

وحقــيقةُ الاســم الذي بصفاته … خَضــعتْ رِقابُ معاندٍ وجحودِ

مُــتوحِّدٌ في كــلٍّ فضــلٍ باهِرِ … ووحــيد فــرد حقــيقة التَّوحيدِ

كُــلُّ الكمال عبارة عَن خَردلٍ … مــتحقرٍ فِــي عِــزِّه المصــمودِ

شَــأْنُ الإلَــه وَعين وَاحِد ذَاته … المجــتبي بصــعودِهِ لســعودِ

خــال الملاحة نور ضَوء جبينها … قَــدْ عَــمَّ مَسْبُوق الفنَا بوجودِ

سَــعدتْ بِــهِ الأكوَان طرًّا إنَّمَا … بِالأصلِ يسعد كل فرعٍ كل سعيدِ

روحُ المعــانِي والأوانــي جملة … معــنى الوجــودِ وصورة الموجودِ

ذَاكَ النَّــبِيُّ الهَاشِــمِيُّ محمَّــد … عــبد الإلــه خلــيفة المحمــودِ

صلَّى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم.

ما صبَّ وبل سجما، أو خرَّ رعد رجما، أو لاح برق أضرما، في جنح ليل أظلما.

**أما بعد..**

فهذه رسالةٌ مني إلى عُشَّاق حَضرة الكَمال، ومُحبِّي بهجة الجمال، ومُريدي نُسخة الجلال، أعني: قومًا عَقدوا مع الله حُب الحبيب المختار، ولازموا شريعته متعلقين بأذيال عزِّه آناء الليل وأطراف النهار، قد تَشربَّت جُسُومهم مما أفاضت عليها القلوب من خمرة حبِّه المنـزَّه عن الخمار:

قَـومٌ بأحمـد فِي الكِرَامِ تمسَّكُـوا    وَبحـبِّهِ فِـي العَـالمين تَـهَـتَّكُوا
وَبِـجَاهِـهِ فَـتَعَلَّقُـوا وتشبَّكُـوا    فُـودَادُه حِـجٌّ لَـهُمْ وتنسـكُ
لاَ يَرْتـجُون سِـوَاه فِي المقصـودِ
يَـبْغُـونَ أحمـد عِنْدَ غَايَات المـنى    وبِـهِ يحـوزون المسـرَّة والفـنا
متوسِّـلين بِـهِ يرجـون الغنى    لله درّ قلوبـهم لَـهُمْ الهـنا
حلُّوا بِهِ فِي مَنـزلِ المسعودِ
الحـبُّ أَبْكَاهُـم وأَنحَـل جِسمهم    وَمَحَـا وَأَفْـنَى فِـي الحقيقةِ رسمهم
قَـدْ أدغمـوا فِي نعتِ أحمد اسمهم    مُـذ قـد دَّعى دُعا داعي المحبة وسمهم
فَهم لأحمدَ من أقلِّ عَبيدِ
شَـرِبُوا بكاسَـات المحَـبةِ مَترَعَا    فَلذَاكَ قَدْ صَرعُوا ويَأب ويَا لكَ مَصرَعَا
نَـالوا الفخـار به وطابـوا منبـعًا    وزكَّـت أصـولهم بفـرع أيـنعا
فَهُـم بأحْمـدِ فـي عُلا وصُعودِ
مُـتحققِّين بـنوره في قُدسِـهم    أَحْـيَاءٌ قَـد عَاشـوا بِه في رَمسهم
مُـتطلِّعين لحسـنِهِ في أُنسِـهمِ    مُتشـرِّعين بِـنعلِه في حِسِّـهم
خُلفَاؤُه في عِزِّه وسُعودِ
وَالاَهُـم الـرحمنُ عَـنهُ نِـيَابةً    مَلِـكَ الوُجـودَ عِـنَايةً وَمَـنَابَة
فَعلاهـم مِـن عِـزِّ أحمـد هَابـةً    نُـور تلبـية القُلـوب إجَابـة
مَهْمَا ادَّعو للعِشقِ ودّ وَدُودِ

رضي الله عنهم وأرضاهم وحَرَسَهم وَوَالاَهُم، وجمعنا في مقعدٍ مع النبي ﷺ وإيَّاهم.

اعــلموا إخواني أَوْصَلنا الله وإيَّاكم إليه، ودلَّنا جميعًا به عليه أن الطريق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق للعوام، وليس إلا طريقةٍ واحدةٍ لخواصه الكِرام.

وذلك معنى قوله تعالى على لسان حبيبه ﷺ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

وذلك السبيل القويم، والطريق المستقيم، والمحجَّة البيضاء، والحنيفيَّة السمحاء، شريعة خير الأنام، وطريقة المبعوث إلى الخواص والعوام عليه أفضل الصلاة والسلام.

قد انسدَّ في الظاهر كل طريقٍ غير طريقه، وانغلقَ في الباطن كل بابٍ غير باب تحقيقه فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول إلى الزلفة العُليا إلا بواسطة فضيلته، فكل ولي إنما يستمطر سحابها، ويسهل عبابها، وكلُّ مَن ظنَّ أنه يُعرج بغير وساطته؛ فإنما صعوده هبوط في سجنه وحثالته.

فعليكم بالتعلُّق بجنابه الرفيع، والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع مع دوام استحضار تلك الصورة الكاملة التي هي لمعاني الوجودِ وصوره جامعةٌ شاملةٌ حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح، والأرواح على القلوب، والقلوب على النفوس، والنفوس على الجسوم من حبِّه شرابًا معنويا تنتعش به الأرواح والأشباح مُعْدِمًا أطلالكم والرسوم؛ فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضًا منكم عنكم؛ لتنالوا حينئذٍ بقابلية حقيقته المشرَّفة بوجودكم ما لم ينله كون من الأكوان في معرفة معبودكم؛ لأنَ الله سبحانه خصَّ محمدًا ﷺ بالتجلِّيات االكاملة الكبرى التي لم يقبلها أحدٌ غيره دُنيا ولا آخرة، فإذا أشرقت أرض وجودكم بنور شمسه الظاهرة، واستنشقت مشام أرواحكم من خزامي تلك الرياض الناضرة، استوت ذواتكم بنصيبها من قابليته على بعض تلك المجالي، فأصبحت إلى ربها ناظرة.

وها أنا أبيِّن لكم في هذه الورقات، وأكشف إن شاء الله نقاب الجهل عن وجوه أسباب هذه المعاني المخدرات؛ لتعرفوا مقداره ﷺ فتأخذوا بحقائقكم من قابلية النصيب الأعظم؛ وعند ذلك تغنموا من السعادات الكبرى كل مغنم، فلذلك جعلت هذا الكتاب مبوَّبًا على سبعة أبواب:

**الباب الأول**: في محتد روحه القدسيَّة وتعاليها في الحضرات الإلهيَّة.

**الباب الثاني**: في عظم شأنه عند الله، وتنـــزُّله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العُليا إلى العالم الكوني، وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ.

**الباب الثالث**: في كمال خِلقَته واعتدالها، وظهور جمالها وجلالها ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﷺ.

**الباب الرابع**: في تمييز قابليته من قابلية قابلية كل موجودٍ سواه، وبيان صفة قطرات الوجود بالنسبة إلى بحر عُلاه.

**الباب الخامس**: في سرِّ تسميته بالحبيب، وبيان الحركة الحبيبة لمعرفته للبعيد والقريب ﷺ.

**الباب السادس**: في كيفيِّة التعلُّق بجنابه والعكوف على بابه ﷺ.

**الباب السابع**: في ثمرة ملازمة تلك الحضرة، والدوام على مشاهدة تلك الصورة وملاحظة ذلك المعنى بالتخيُّل والفكرة.

وهذه الرسالة الكريمة المشرَّفة بهذه المسائل العظيمة سمُّيتُها:

الإرادة القديمـــة في حضـــرة العـــين؛ وحيث لا أين بكتاب: «**قاب قوسين وملتقى الناموسين**».

وإنه لهو الجزء العاشر من تجزئة أربعين من كتاب:

«**الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ**».

وهذا أوان الشروع في الكتاب والله الموفق للصواب.

* * *

# الباب الأول

## في تنـزُّل روحه القدسية وتعاليها في الحضرات الإلهية على المناظر العليَّة ﷺ

أخبرنا تُرجمان الأزل في مشهده المنـزَّه عن العلل: إن صفات الله الأسنى، وأسمائه الحسنى تقابلت في معاني الكمالات؛ لإظهار حقائق الذات، وأظهرت كل صفة ما يخصُّها من الجمال(١) والجلال(٢)، وأبرز كل اسمٍ ما يقتضي معناه من الكمال(٣) وبقيت الذات الإلهيَّة على ما هي عليه من البطون على حقيقة الكنـزيَّة في الكمون، فاجتمعت حقائق تلك الأسماء والصفات حيث لا أين في مشهدٍ معنوي للذات يقول كل منهما: إنَّا وإن

---

(١) تقول الست عجم: إن الجمال بعد الأرواح تنـزل مناسب بحيث ذكر أرواحاً متعددة والتعدد لائق بالجمال لأن الله تعالى لما أوجد الخلق متكثراً متمايزاً أظهر بالجميل لئلاً يقع النفور من البعض عن البعض، وكذلك في عالم الأرواح، فلما أدرك هذا الشاهد رضوان الله عليه أرواحاً متعددة لحظ الجمال الناشئ بينهم لعدم النفور وهذه القابلية في هذا المحل قد كانت شديدة الصقال، والناظر فيها نافذ النظر حتى شهده صورة الموصوف والأوصاف، لأن الجمال صفة خافية وهمية فلا يدركها إلا من اتصف في حال شهوده بهذه الأوصاف.

(٢) إن الجلال حضرة لائقة بالمشاهدة لأنه اسم ظهر الله به مخصوصاً بالثنوية وهو تمكين اسم الجميل فتظهر عليه صفة في حال الناظر والمنظور ليحصل له هيبة وخشوع مع محبة فالجميل للمحبة، فلما رفع المحب إلى مقام أعلى من موطن المحبة الذي هو الظاهر. فازداد الاسم صلة بغير زوال عينه، ولما كانت هذه الصفة لائقة بالمشاهدة وهي الجلال خرج الشاهد في شهوده من مقام إلى مقام لأنه لا يتغير عليه صفة إلا بخروجه من محله في شهود واحد، فالجلال مختصة بالله دون الجميل وغيره لكونها تنشأ عن التعظيم وكل تعظيم ناشئ عن عظمة الله تعالى، وإذا حصل للشاهد شهوداً في خلع واحد يكون هذا الشهود أشد تمكيناً من الشهود الواحد، والتمكين عبارة عن الاستعلاء لكن الاستعلاء على ضربين: استعلاء وصف واستعلاء معنى، فالعارف الكامل له استعلاء الوصف ويتعالى عن استعلاء المعنى إذ استعلاء المعنى هو على بني الجنس بشرط الاستقلال لجهة دون جهة، والعارف لا جنس له ولا حصر فيحل عن هذا المقام المعنوي، ولما كان هذا العارف متصفاً بالاستعلاء اتصافاً فأخرج من مقام الشهود إلى مقام الجلال.

(٣) الكمال: التنـزيه عن الصفات وآثارها. أي: عن كل ما يقيد ذات الحق، وحقيقته فيخرجها عن إطلاقها، صفة، وتجردها عن الاعتبارات مطلق إبقاؤها على الإطلاق الذاتي، والذي حكمه مع سائر القيود على السواء، وذلك هو الكمال الحقيقي، فافهم.

أظهرنا هذا الكمال، وأبرزنا هذا الجمال والجلال؛ فإنما أخبرنا عن قطرة من بحر، وحدَّثنا عـــن ذرَّة في قفـــر. وهيهات هيهات! أين منَّا ما حَوته الذات، فكيفَ السبيل إلى ظهور الشئون الإلهيَّة الذاتيةِ المتعالية عن الحقائق الأسمائية والصفاتية؛ فحينئذ برزت إشارةٌ كُنهيَّه بعـــبارة منهـــيَّة: إني قد اختلست من ذاتي نسخةً[١] جامعة لأسمائي وصفاتي بمزيد حقائق الكُنه الذّي لا يعبر عنه.

وأبرز فيه بروزًا هو عين الكمون، وأظهر فيه ظهورًا هو عين البطون متصورًا بصورة بديعـــة متنـــزِّلاً في مشاهدي الرفيعة؛ تكون تلك الصورة مجلى لشأوكم الرفيع، ومَظهرًا لشـــأنكم البديع، وتستأثر في نفسها بما لها في قدسها من كنه لا يُعرف، وحقيقة لا تُدرك ولا تُوصـــف؛ فـــتكون نســـبة ذلك المظهر الأكمل والمجلىَ الأعزُّ الأفضل إلى مَظاهركم العظيمة ومجاليكم الكريمة نسبة الذات إلى الصفات؛ ليكمل به ثَنائي على علائي، فشققتُ مـــن الحمـــد اسمهـــا؛ إذ كان ذلك رسْمُها فسمَّيته محمدًا وأحمدًا ومحمودًا، وجعلته عابدًا ومعـــبودًا. ومن ثمَّ جعلت لواء الحمد لوائه، والوسيلة العظمى مستواه، فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم مظاهر الأسماء والصفات، ومحمد ﷺ مُظهر الذات[٢].

(١) فهو ﷺ النسخة الصغرى وهي العبد الكامل الذي كان مظهرًا لكل اسمٍ إلهيٍّ من غير أن يغلب عليه اسم من الأسماء، ويُسمَّى من وجه بالخليفة والنائب، وهو الرداء على الحق، وقد يستهلك بالحق بحيث لا يظهر له وجود عين أصلاً، فيكون حقًّا كله والانفعالات تقع منه من غير أن تنسب إلى شيءٍ من وجوده.

(٢)فهو ﷺ المظهر الأتم الأكمل، والإمام المقدَّم الأمثل ﷺ، ويحتمل أن يكون الاسم الأعظم هو هو، فيكون ﷺ كلمة الهوية.

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه في «الإنسان الكامل»:

اعلم أن هذا الاسم أخص من اسم الله تعالى، وهو سرٌ الاسم الله إلى أن قال: اجتمعت ببعض أهل الله بمكة زادها الله تعالى شرفًا في آخر سنة تسع وتسعين وتسعمائة، فذاكرني في الاسم الأعظم الذي قال النبي ﷺ: أنه في آخر سورة البقرة، وأول آل عمران، فقال إنه كلمة هو.

وذلك مُستفاد من ظاهر كلام النبي ﷺ؛ لأن الهاء آخر قوله: سورة البقرة والواو: أول قوله، وأول آل عمران، وهذا الكلام وإن كان مقبولاً فإني أجد للاسم الأعظم رائحة أخرى انتهى.

ولذلك كان هو الختام لمقام الجلال والإكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

# الباب الثاني

# في عِظَمِ شأن محمد ﷺ وشُرِّف وكُرِّم عند الله تعالى وتنزُّله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العُليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده

اعلم وفَّقك الله وإيَّانا ولا أخلانا من أُنسه ولا أخلاك أن النبي ﷺ هو واسطة الله بينه وبين عباده، وإلي ذلك أشار ﷺ بقوله: «**أنا من الله، والمؤمنون مني**»(١).

قد شهدته الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليه وعليهم قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، وعلموا علو شأنه عليهم في عظيم مكاناتهم، واستمد الجميع به في ذواتهم إلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السموات؛ فهو إمام الأنبياء، وقدوة الأولياء صورةً ومعنى صلوات الله عليه وعليهم.

واعلم أنه ﷺ لما تنزَّل من الحضرة الأحديَّة على الحضرة الواحديَّة ظهر فيها بحقائق الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ فتعشَّقت به الحضرة الكماليَّة تعشُّق الاسم بالمسمَّى والصفة بالموصوف، فكل معنى من معاني تلك الكمالات لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ولا تدل بهويَّتها إلا عليه، فلو تحقق أحد بكمالٍ من تلك الكمالات المشار إليها؛ كان عطفًا عليه لديها.

---

(١) أورده السادة الصوفية في كتبهم، كسيدي محمد وفا في الشعائر (ص١١٧) بتحقيقنا.

وجزم بعض الكبار بصحته كشفا وذكره جماعة منهم صاحب «روح البيان» بلفظ: «أنا من نور الله، والمؤمنون من فيض نوري».

قال الأمير عبد القادر الجزائري في مواقفه ما نصه:

وإنما خص المؤمنون للتشريف، وإلا فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم، ولهذا كان الكمل يشهدونه في كل شيء على الدوام، حتى قال المرسي ﷺ: لو أحتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته في العالم كله لا شخصه الشريف، انتهى.

وتقرير هذا الكلام: إنه لو تحقق مثلاً ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النوريَّة حتى صار كـــل منهم نورًا مطلقًا، ثم أطلقت اسمه «**النور**»[1] لم يقع هذا الاسم إلا عليه، و لم تسبق

(١) فكان ﷺ النور الأول قال ﷺ: «أنا الذي خلق الله أوَّل كلِّ شيءٍ من نوري، فسجد، فبقي في سجوده سبعمائة عامٍ»، وكان كلُّ شيءٍ من نوره من النيرات اللطائف، أو من غير ذلك من الكثائف، كما قال ﷺ: «إنَّ الله خلق العرش من نوري، والكرسيَّ من نوري، واللَّوح من نوري، والشمس والقمر من نوري، والعقل الذي في رءوس الخلائق من نوري، ونور الإيمان من نوري، ونور المعرفة التي في قلوب المؤمنين من نوري».

فهذه السبعة الأنوار الجامعة للملك والملكوت والقلوب والأعين إنما هي من نوره، فكلٌّ منيرٍ منه، فأنوار ذلك المنير أحمديته ﷺ في كلِّ ذاتٍ منها مسرى وموقع يبدو في أتمِّه، ويضيء في قلبه؛ إذ لكلِّ شيءٍ قلبٌ، وكما أن جميع النيران ظاهرها وباطنها من نوره فأحمديته كائنةٌ فيها، قائمةٌ عليها، داعيةٌ لها إليها، فهو رسولٌ لها منها، يجدها كلُّ شيءٍ منها في وجوده، ويسمع بما منه فيه عند تبليغه في ظاهر يوم ختمه، فلذلك سائر الموجودات ناشئةٌ من نوره، بما أن كلَّ شيءٍ من المواليد والأركان من الماء، الذي هو من الدرة، التي هي من الضبابة، التي أُنشئت من نوره، كما قال ﷺ: «آدم من ترابٍ، والتراب من الزبد، والزبد من الموج، والموج من الماء، والماء من الدرة، والدرة من الضبابة، والضبابة أُنشئت من نور محمد ﷺ»، ففي كلِّ كائنٍ كثيفٍ أو لطيفٍ نوريته.

والنور: هو البادي في نفسه المبدي لغيره، والأمم: جمع أمَّة، وهى الطائفة القاصدة لمأمٍّ: أي مقصدٍ يقصده؛ ليهتدي به مما أحست به من ضلال مسلكها، وأن الله ﷻ كما ورد: خلق الخلق في ظلمةٍ، وظلمة الخلق ذواتهم وإحساسهم بأنفسهم، تلك ظلمتهم التي طمست عنهم الوجد بربِّهم، ثم تضاعفت عليهم ظلم ذواتهم دركةً دركةً إلى أسفل سافلين وإلى أطباق سجين، بحيث صارت أدنى الظلمتين طمسًا أهونهما بما يداخل أدنى الظلمتين من نورٍ يظهر ظلمه أشدهما، وكل نورٍ يظهر ذاتًا من ذوات الخلق؛ فهو بما يظهر نورٌ، وبما هو دون إرائه الحق وإظهار نور الله ظلمةٌ.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ [يونس:٥].

فهو نورٌ بما يظهر من طمس الظلمة، وهو ظلمةٌ بما هو بادٍ من بوادي الخلق، حجابٌ من دون نور الحق.

قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها وقد نظرت القمر: «استعيذي بالله من شرِّه؛ فإنَّه الغاسق إذا وقب»، فكلُّ بادٍ من الخلق ظلمةٌ بوجه ما إلا محمدًا ﷺ وآله؛ فهو نورٌ لكل من أمَّه من الأمم بما أبدى الله به من نوره وطمس مما سواه، حتى شهد ببطل ما خلا الله، وبمحو الكفر الذي تغطيته هي الظلمة التي محاها نوره، فهو نور الأمم الذي لا يبقي لمن آمن به ظلمةً من وراء نوره، وذلك بما هو النور =

هذه الصفة إلا إليه؛ ولهذا سمّاه الله تعالى في كتابه العزيز بالنور دون غيره.

وســـرُّ ذلك أن الأنبياء إنما تحقّقوا بهذه الصفة، وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة وكم بيّن حقيقة الشيء إلى مَن تحقق به، فافهم.

وتحـــت هذه المسألة فائدة جليلة لو فتح الله عليك بمعرفتها، ثم أنه ﷺ أول ما تنـــزّل مـــن حضرة الواحدية إلى حضرة الإلوهية، تلقته منها الحضرة العلمية فتشكّل بصورة تلك الحضرة العلمية.

ولهـــذا لمـــا تنـــزّل إلى الوجود الكوني كان هو ﷺ صورة القلم المسمّى بـــ «العقل

=

الأول، كما قال ﷺ: «إنّ الله خلقني من نورٍ».

فهو ﷺ نورٌ لا بقية لظلمةٍ فيه، بما هو فانٍ عن نفسه قائمٌ بربِّه، كما يقول هو ﷺ: «ما أنا حملتكم، الله حملكم»، وكما قيل في أن شعاعٌ نوره في أصحابه وأنصاره: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧]، وكما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

فهو ﷺ نورٌ ليس في إنارته بقية ظلمةٍ بما نزع الله ممن ائتمَّ به واتَّبعه، خفيُّ الشرك الباقي في خواص أمته، فصاروا أئمةً، ولذلك كانوا نور الأمم الذي ينتهي إلى نوره الأنوار ويأتمُّ به الأئمة، فهو نور الله المستمد بمدد الله، فلذلك هو نورٌ لا يطفأ ﷺ.

ولما كان ﷺ محيطًا في خلقه بما كل خلقٍ منه ومحيطًا في أمره بما كل أمرٍ من أمره كان ﷺ مبينًا أعلى أمر الله لأدنى خلق الله، فهو نور الله البادي الذي أرسله، وهو نور الأمم الهادي الذي أوصلها، فهو نور الأمم بما هو هاديها، ونور الله بما هو باديه، الذي لا خفاء له، ولما كان الأول الآخر فكان الخاتم ليس وراء مكانته مكانةٌ ولا وراء إنارة نوره إنارةٌ، لم يكن وراءه ما هو أكمل نوريَّةً منه فيطفئ نوريَّته، كما شأن الأنوار المترتبة في حكمة الله أن تطفئ أشدها أضعفها، كما يطفئ نور الكواكب ويطفئ ضوء الشمس بعد القمر، والإطفاء إذهاب الإنارة، والإنارة الإراءة للأشياء بما شأنه أن يبدو ويبدي، فالإطفاء ذهابٌ له أو ذهابٌ لأثره، كما يذهب السراج وتذهب إثارة القمر بضوء الشمس، فكل نورٍ يطفئه فهو أكمل منه، ونور الله الذي هو نور السماوات والأرض نورٌ لا يُطفأ، فلما كان ﷺ نور البادي كله خلقًا وأمرًا لم يكن وراءه نورٌ بما هو نور الإحاطة إلى ما ورائها من إطلاق الحدِّ؛ فهو لذلك نور الله الذي لا يطفأ، بما ليس وراء نوره مرمًى. وانظر: إبداء الخفا للحرالي (ص ... بتحقيقنا).

الأول». ولهذا ورد: «**أول ما خلق الله العقل**»[١].

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله القلم**»[٢].

وورد عنه ﷺ في حديث جابر ﷺ: «**أول ما خلق الله روح نبيِّك يا جابر**»[٣].

فعلم بذلك إتحاد هذه المعاني الثلاثة، وأن اختلافها إنما هو من جهة التعبير، فكان ﷺ أول موجود خلقه الله تعالى بلا واسطة، وهذه الروح المحمديَّة المسمَّاة بالعقل هي مظهر الذات في الوجود فافهم[٤].

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (١/١٣)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤/٥١٠).

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٢٥)، والترمذي (٤/٤٥٧).

(٣) روى عبد الرزاق في المصنف (١٨) عن معمر عن ابن المنكدر عن جابر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيءٍ خلقه الله تعالى؟ فقال: «هو نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء...» الحديث.

وانظر: الجزء المفقود من الجزء الأول من مصنف عبد الرزاق (ص٦٣)، وتلقيح الفهوم للشيخ الأكبر (تحت الطبع بتحقيقنا)، وشرف المصطفى للخركوشي (١/٧٠٣)، وكشف الخفاء للعجلوني (١/٣١١)، والمواهب اللدنية (١/٧١)، ومواكب ربيع في مولد الشفيع للحلواني (ص٢٧، ٣٣).

(٤) جمع هذه المعاني الشيخ الأكبر في صلاته على النبي ﷺ بقوله: (الدرة البيضاء، والياقوتة الحمراء): فأراد بالدرة البيضاء الحقيقة المحمدية وبالياقوتة الحمراء العالم كله.

فكان هو القبضة الأحمدية والحقيقة النورانية المحمدية واللطيفة الربانية والياقوتة الفريدة الشعشعانية والدرة المشرقة البيضاء والجوهرة العظيمة الفيحاء التي هي أول مخلوق وأكرمه وأجله وأشرفه وأعظمه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ولا يدري ما حوته من الكمالات إلا جنابه وعلاه والنور الشعاعي الوجودي المفاض المنبسط بعد على كل الكائنات الذي هو نور مطلع جميع المخلوقات بالنسبة إلى هذا التجلي الأول الوجودي الذي هو نوره ﷺ المعين الشهودي كلمعة خفيفة وبارقة حفيفة كما أن النوراني بالنسبة إلى الكوني كلمعة من جنابه شارقة وقد خلقه سبحانه على صورته وأودعه كل عوالمه وخليقته وخلق كل حقيقة فيه من حقيقة من حقائق أسمائه وصفاته وخلقه هو من نفسه وذاته وجعله واسطة بينه وبين جميع الموجودات في الإيجاد والإمداد وجميع المطلوبات يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من الرقائق التي أمده بها المعبود وجعل له سبحانه وتعالى نسبتين لأنه مخلوق منه وذاته تعالى جامعة للضدين:

=

=

إحداهما: نسبة الجمال والنور ومنها خلقت الأرواح المهيمة وجميع الملائكة المعظمة ومن ضاهاهم بل والأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها.
والثانية: نسبة الجلال والظلام والضلال ومنها خلقت الأجسام الظلمانية كإبليس وأتباعه من الشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها، كما أن الجنة والنار وجميع درجاتها خلقت من النسبة الأولى وهي النورانية وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان أول موجود وأفضل كل مشهود انصب فيه بحكم محبة الحق إياه المحبة الكاملة الأكملية جميع ما أراد تعالى إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب وجميع آثار الكرم والمجد وجميع آثار السطوة والقهر فجمع سبحانه وتعالى فيه جميع ما ذكر إجمالاً وتفصيلاً ثم جعله منبعا وعنصراً لجميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلا أزلا وأبدا ومن المحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء في الوجود جوهرا كان أو عرضاً أو غيرهما مما دق أو جل خارجا عنه ﷺ.
**قال الجيلي** في كتاب «الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم» ما نصه: الحقيقة المحمدية خلق العالم بأسره منها لما ورد في حديث جابر أن الله تعالى خلق روح النبي ﷺ من ذاته وخلق العالم بأسره من روح محمد ﷺ فمحمد ﷺ هو الظاهر بالمظاهر الإلهية، ألا ترى إليه ﷺ كيف سري بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوي الرحمن ، انتهى.

وقال في «جواهر المعاني» نقلاً عن شيخه أبي العباس التيجاني بعد ما ذكر عنه أن للحق تعالى تنزيلين تنزلاً أوليًا وهو تنزل وجود الذوات وهو المقتضي لوجود الخلق عموما وخصوا جملة وتفصيلا من أول وجود العالم إلى الأبد، وتنزلا ثانويًا وهو تنزله بفيض الرحمة الإلهية المسماة بالنفس الرحماني ما نصه: وهذا التنزل الثاني والتنزل الأول كلاهما مجموعان في الحقيقة المحمدية فإنها أول موجود أنشأه الله من حضرة العما الرباني وأوجدها سبحانه وتعالى مشتملة على جميع ذوات الوجود من الأزل إلى الأبد والوجود كله متنسل منها فكما أن آدم عليه السلام وجوده مشتمل على وجود ذريته إلى قيام الساعة فما في الوجود آدمي خارج عنه كذلك ما في الوجود ذرة موجودة من الأزل إلى الأبد خارجة عن الحقيقة المحمدية إذ هو الأب الأول للوجود كله فهذا هو التنزل الأول وهو تنزل وجود الذوات، وكان التنزل الثاني الذي هو فيض الرحمة الإلهية الذي اقتضاه النفس الرحماني مجموعًا أيضاً في الحقيقة المحمدية فما في الوجود رحمة تصعد أو تنزل مما عم أو خص إلا وهي نقط من فيض بحر الحقيقة المحمدية فكما أنه ﷺ هو السبب في إيجاد الخلق هو السبب في إمدادهم بالرحمة الإلهية، فيشار للتنزل الأول الذي هو وجود الذوات بقوله سبحانه ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١]

=

فهو أول موجود عبد الله لكونه لم يتقدمه أحد في الوجود.
ويشار للتنــزل الثاني الذي هو النفس الرحماني بقوله سبحانه وتعالى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، انتهى بلفظه.

وقــد سمي هذا العقل الأعظم بأسماء كثيرة معظمة شهيرة باعتبار أوصافه القديمة وتنوع ملابسه الفخيمة واختلاف وجوهه وحالاته وتعدد مظاهره واعتباراته.

فمن أسمائه باعتبار النورانية وهو أعظم مظاهره كما يأتي العقل الأول لأنه أول من عقل عن الله أمره بقوله كن وأول من عقل عنه من علمه من العلوم وأول عالم بالتدوين والتسطير.

وفي «لطائف العلوم» في العقل الأول هو أول جوهر قبل الوجود من ربه، ولهذا يسمى بالعقل الأول لأنه أول من عقل عن ربه وقبل فيض وجوده، انتهى.

وفي «الفتوحات» في الباب الثامن والتسعين ومائة في معرفة النفس بفتح الباء ما نصه: أول خلق خلقه الله من النفس الذي هو العماء القابل للفتح صور العالم فيه العقل وهو القلم، انتهى.

وفيها أيضاً فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل وهو القلم فهو أول مفعول إبداعي ظهر عن الله تعالى وكل خلق على غير مثال فهو مبدَع بفتح الدال وخالقه مبدِعه بكسر الدال، انتهى.

وفيها أيضاً فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل أظهره في نفس الرحمن في العماء في أول درجته التي هي في نفــس الإنسان المخلوق على صورة الهمزة فهو أول مبدع من حروف تنفس الإنسان ولها وجوه وأحكام مثل للعقل في النفس، انتهى.

وفــيها أيضاً فيه ما نصه: لما خلق الله الملائكة وهي العقول المخلوقة من العماء وكان القلم الإلهي أول مخلوق منها اصطفاه الله وقدمه وولاه على ديوان إيجاد العالم كله وقلده النظر في مصالحه وجعل ذلك عبادة تكليفه التي تقربه من الله فما له نظر إلا في ذلك وجعله بسيطا حتى لا يغفل ولا ينام ولا ينسى فهــو أحفــظ الموجودات المحدثة واضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم وقد كتبها كلها مسطرة في اللوح المحفوظ عن التبديل والتحريف، انتهى.

وفــيها أيضاً فيه في الخطبة التي ذكرها في نضد العالم بعد ما ذكر فيها أن أول موجود أداره سبحانه فلك الإشارات الذي هو الجوهر الثابت العمائي ما نصه:

وأول صورة ظهرت في هذا الفلك العمائي صور الروحانيات المهيمات التي منها القلم الإلهي الكاتب العــلام في الرسالات وهو العقل الأول الفياض في الحكميات والإنباءات وهو الحقيقة المحمدية والحق المخلــوق بــه والعدل عند أهل اللطائف والإشارات وهو الروح القدسي الكل عند أهل الكشوفات والــتلويحات فجعلــه عالماً حافظاً باقياً تاماً كاملاً فياضاً كاتباً من دواة العلم تحركه يمين القدرة عن

ثم خلق تعالى بواسطة الروح المحمديَّة المسمَّاة بالعقل الأول عقلاً كليًّا هو مظهر الصفات، سمَّاه بالعرش، وهو الذي تسمِّيه الحكماء: «بالعقل الثاني».

وهذا العقل الكلي هو حقيقة روح كل نبيٍ ووليٍ كامل؛ لأنه الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي والنعت الصفاتي؛ إذ عرشه العظيم عبارة عن الحقيقة الرحمانيَّة التي هي المستوية على العرش المحيط بالعالم المخلوق في نهاية العالم الكوني.

فالحقيقة الرحمانية المعبَّر عنها بالعرش العظيم.

والمظهر الكمالي هو: عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله وهذه الحقيقة لما وسعت كل شيء بالرحمة لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] وسع مجلاها المسمَّى بالعرش المحيط كل العالم الكوني صورة.

---

=

سلطان الإرادة والعلوم الجاريات إلى نهايات وهو مستوي الأسماء الإلهيات، انتهى.

وقال في «عقلة المستوفز» في الباب الذي عقده في خلق العقل الأول ما نصه: وسماه الله تعالى في القرآن حقاً وقلماً وروحاً وفي السنة عقلاً وله غير ذلك من الأسماء وقد ذكرنا أكثرها في كثير من كتبنا قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥].

وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخازن الحافظ الأمين على اللطائف الإنسانية التي من أجلها وجد وإياهـــا قصـــد مـــيزها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزا إلهيا علم نفسه فعلم موجده فعلم العالم فعلم الإنسان. قال رسول الله ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه» لسان إجمال.

والحديث الآخر: «أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه» لسان تفصيل.

فهو **العقل الأول** من هذا الوجه.

وهو **القلم** من حيث التدوين والتسطير.

وهو **الروح** من حيث التصرف.

وهو العرش من حيث الاستواء.

وهـــو الإمـــام المبين من حيث الإحصاء رقائقه التي تمتد إلى النفس أي الكلية إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفـــلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة إلى الحركات إلى المولدات إلى الإنسان إلى انعقادها في العنصر الأعظم، وهو أصلها ستة وأربعون ألف ألف رقيقة وستمائة ألف رقيقة وست وخمسون ألف رقيقة، انتهى.

ولهذا كان العرش منتهى مقام كل نبيٍ مرسل أو ملكٍ مُقرَّب، و لم يصل فوق العرش أحدٍ غير محمدٍ ﷺ وحده كما تواترت الأخبار به.

وسرُّ هذا الأمر كما ذكرت لك: إنما هو لعلو محتده ﷺ؛ إذ هو حقيقة النور الذاتي والأنبياء من حقيقة النور الصفاتي، والذات من وراء الصفات، فاعلم ذلك وتنبه.

ثم إن الله خَلق بواسطة هذا العقل الثاني المسمَّى: بـــ «العقل الكلي» عقلاً ثالثًا هو مُظهر الأفعال، وسمَّاه بالكرسي؛ فهو مُظهر الأسماء الفعليَّة.

ومن ثمَّ ورَدَ: إن قدمي الحق متدليتان على الكرسي، وإنما ذلك عبارة عن أمْرِه ونهيِهِ.

وهذه النفس الكلية هي محتد سائر النفوس الناطقة، فظاهرها الكرسي الأعلى، وباطنها اللوح المحفوظ، وهو النفسُ الموجود من هذا العقل فيه لظهوره، واسمها كما سيأتي ذكره «النفس الكليَّة».

ولهذا لم يجد أحدٌ من المخلوقات نسخة العالم كله في نفسه إلا الإنسان؛ لأن اللوح المحفوظ فيه عِلم كل ما كان أو هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فالإنسان يجد ذلك جميعه من حيث إن باطن حقيقته هو المسمَّاة بالنفس الكلية وهي اللوح المحفوظ، ويُؤمر بالعمل الصالح ويُنهي عن العمل الفاسد؛ لأن حقيقته المسمَّاة بالنفس الكليَّة هي مظهر الأمر والنهي المعبِّر عن مجلاه بـــ «الكرسي» وهو: العقل الثالث؛ ولهذا لا ينعم النعيم الدائم ولا يُعذَّب العذاب المقيم سواه. وسرُّ ذلك أن الأسماء الفعلية لا ينقطع ظهور أثرها أبدًا، فلهذا اختصَّت آثارها بالبشر دون كل مخلوقٍ، وما ثم من يشاركه في بعض وصفه إلا الملك والشياطين. فالمَلك نورٌ محض يشاركونه في نعيم القرب دون نقمة البعد.

والشياطين ظلمةٌ محضة يشاركونه في نقمة البعد دون نعيم القرب؛ لأن مرتبة الجمع المسمَّاة بالكرسي الذي هو محل تدلّي القدمين؛ إنما هو محتد الإنسان وحده، فافهم.

ثم إن الله تعالى خَلق بواسطة هذا العقل الثالث عقلاً رابعًا هو: روح السماء السابعة. وخلق بواسطة الرابع عقلاً خامسًا هو: روح السماء السادسة.

وخلق بواسطة هذا العقل عقلاً سادسًا هو: روح السماء الخامسة.

وخلق بواسطة السادس عقلاً سابعًا هو: روح السماء الرابعة.

وخلق بواسطه السابع عقلاً ثامنًا هو روح السماء الثالثة.

وخلق بواسطة الثامن عقلاً تاسعًا هو روح السماء الثانية.

وخلق بواسطة التاسع عقلاً عاشرًا هو: روح السماء الأولى سماء الدنيا، ويسمَّى هذا العقل بـــ «العقل الفعَّال».

جعل الله سبحانه تدبير العالم الأرضي معروفًا بقدرته تعالى إلى هذا العقل.

كما جعل تدبير الجسم الحيواني معروفًا على الروح(١).

(١) والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة:٩]. واعلم أن هذه الإضافة إضافة تشريف وإظهار بأنه خلقٌ عجيبٌ ومخلوق شريف، وإن له شأنًا لأنه جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه فصار بسبب ذلك حيًّا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

والروح اختلف العلماء هل يجوز الخوض فيها أم لا، فذهب قوم إلى أن الإمساك عنها أولى، وذهب آخرون إلى الكلام فيها، والمتكلمون فيها اختلفوا هل هي عرض أو جرم لطيف يحل بالأجرام، كحلول الماء في العود الأخضر، والحكماء يقولون هي اللطيفة المدبرة للجسد حيوانًا كان أو غيره، وهذه اللطيفة مختلفون فيها، فمنهم من قال: إنها الريح فهي عندهم في الحيوان روح، وفي الهوى ريح، فالأولى تحرك الحيوانات، والأخرى تحرك الجمادات، ومنهم من قال: إنها ماء الجسد المشتبك فيه اشتباك ماء العود الأخضر به، وهذا الماء عند الفلاسفة هو الدم، وعند غيرهم ما صحَّ منه التركيب البدني؛ لأنهم إذا ذهب ذهب تركيب البدن، وهذه الأقوال وإن كانت حقًّا فمن وراء حجاب عن حقيقتها، وحقيقتها هي التي أجاب عنها تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي هو روح البدن الإنساني، ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته، فأجيبوا بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]: أي من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية، التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر، فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة؛ للاختصاص العلمي لا الإيجادي؛ لاشتراك الكل فيه، والمعنى أن الروح ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به، والتوصيف بل من عالم الأمر الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرَّدة عن الهيولي والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنهم إدراكه أيها =

المحجوبون بالكون؛ لقصور إدراككم وعلمكم، ولذلك قيل: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا يمكن معرفتها حق المعرفة، وأقاويل العلماء والحكماء والصوفية كثيرة في ماهية الروح، وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله ﷻ وهو قول أهل السنة.

قال عبد الله بن بريده: إن الله لم يطلع على الروح ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً بدليل قوله:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الذي استأثر به؛ لأنها من قول: (كن) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ [النحل:٤٠].

واعلم أن الروح في الحقيقة روحان: روح القدس، وروح الأكوان، فروح القدس هو روح الأرواح، وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة (كن)، فلا يجوز أن يُقال فيه إنه مخلوقٌ؛ لأنه وجه خاصة من وجوه الحق، قام الوجود بذلك الوجه، فهو روحٌ لا كالأرواح؛ لأنه روح الله تعالى، وهو المنفوخ فيه من آدم.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:٧٢]، فروح آدم مخلوق وروح الله ليس بمخلوقٍ، فهو روح القدس: أي أنه هو الروح المقدَّس عن النقائص الكينونية، وذلك الروح هو المعبَّر عنه بالوجه الإلهي في المخلوقات.

وهو المعبَّر عنه في الآية بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، يعني هذا الروح المقدس الذي أقام الله به الوجود الكوني بوحدانيته، تولوا بأجسامكم في المحسوسات، أو بأفكاركم بالمعقولات.

فإن الروح المقدس متعين بكمالٍ فيه؛ لأنه عبارة عن الوجه الإلهي القائم بالوجود، فذلك الوجه في كل شيءٍ هو روح الله، وروح الشيء نفسه، فالوجود قائم بنفس الله، ونفسه ذاته، فتعالى الله عن المثل والشبيه، أو أن يدركه بعقله نبيه.

وروح الأكوان هو أن كل شيءٍ من المحسوسات له روح مخلوق قام به صورته، والروح لتلك الصورة كالمعنى للفظ لا يخلو منه كون ما، إلا إذا لم يدخل في كينونة (كن)، وتلك الروح كائنة من روح القدس، لا يصح كونها من غيره، ولا يصح كونها منه كما قيل:

رق الزجاجة ورقت الخمر     فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح     وكأنما قدح ولا خمر

فافهم ثم تتعلم، وهو من أغرب ما يعلم أن الروح في دخولها في الجسد وحلولها فيه لا تفارق

ثم أوجد بواسطة هذا العقل الفعال الأركان الأربعة، فأول مخلوقٍ منها هو: النار، ثم الهوى، ثم الماء، ثم التراب.

وتمّ التدبير(١) بهذه الأربعة مع واسطة العقل الفعَّال بأمر الله وإرادته وقدرته على حسب ما جرى به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ولا من جهة من الجهات.

وهذه الأربعة أركان المذكورة هي التي كني عنها الله تعالى بالأيام بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت:١٠] بالحال.

=

مكانها، ولكنها لما نظرت إلى الجسد حلّت فيه؛ لأن من عادة الأرواح أن تحل فيما نظرت فيه من غير مفارقةٍ لمركبها، وهذا مما لا يُفهم إلا بالكشف الربَّاني، ولكني أمثله لك ليقرب من ذهنك يسيرًا، فهذا الحلول كحلول وجهك في المرآة من غير مفارقةٍ منك لموضعك وهو مجرد مثل.

وأما التفرقة فهي حاصلة من كل وجهٍ غير ذلك الحلول، وشهود تلك الروح القائمة بها الأكوان قدسًا وكونًا هو البحر، الذي إذا شاهده الولي شاهد منه الأنبياء والأولياء والملائكة، وغير ذلك من كل روحٍ قائمةٍ في جسدها شهودًا لا تكون فيه تفرقة بين كبيرها وصغيرها، وكثيرها وقليلها، ولا ينجيه من الغرق فيه إلا سفينة الشريعة؛ لأنها ترد له كل شيءٍ إلا بما هو له ظاهرًا وباطنًا، فيحكم للكل بما حكم به ربه من وجود ظاهر وعدم باطن.

(١) التدبُّر: نعتٌ للحق من حيث تجليِّه في باطن الرُّتبة الإنسانية، وفي الإنسان الكامل، فإن نَظَرَ الكامل بربه، وإن شئت قل نَظَرَ الحق بالكامل في المزجة الوجودية الحاصلة من انبساط الوجود على التعينات العلمية المسمَّاة معلومات وممكنات؛ لتمييز أحكام المراتب بعضها عن بعضٍ، وإضافة كل فرع إلى أصله؛ لتبقى بعد الامتزاج الوجودي متميزة الأحكام والإضافات كـ«هي»؛ باعتبار تجرُّدها عما تلبَّست به من الصور الوجودية تسمَّى تدبُّرا، فهو توجُّه إلهي بسرٍّ عبدانيٍّ، وتوجُّه عبداني بحقيقة الألوهة نحو أمرٍ مشهودٍ حالاً، معلومٍ مشهودٍ أزلاً وآنًا؛ توجُّهًا كليًّا إلى أصلٍ جمليٍّ؛ لِيَفُكَ ختام تفصيله؛ حبًّا في إكمال إيضاحه وتبيينه وتوصيله.

وليس هذا شأن الفكر، فإن الفكر هو توجُّه نفساني بصفة افتقارٍ واستعانة بموادٍ معلومة من قبل؛ مستفادةً من الحسِّ والأوليات وترتيبها على نحوٍ خاص؛ طلبًا لأن يقتنص بذلك كله ما شَعُرَت به نفسُ المتوجِّه من خلف حجابِ الطبع، ومن حيث صفةٍ من صفاتِه، أو لازم أو عارض مما ليس بمعلومٍ عنده؛ ليصير معلومًا. وانظر: النفحات الإلهية للصدر القونوي ﷺ (ص٩٧) بتحقيقنا.

فإن السؤال بالحال مَنوط بالإجابة دون غيره، كما بيَّناه فيما مضى على أن الإجابة التي هي: لبيك من الله واقعة فوريًّا.

والأمر المطلوب إن وافق سؤال الحال وقع فوريًّا أيضًا.

والآخر إلى أن يُوافقه سؤال الحال إمَّا في الدنيا، وإمَّا في الآخرة، وإمَّا الأيام التي هي الأربعة أركان التي جعل الله فيها أرزاق العالم الأرضي.

واعلم أن الله أوجد مِن كل عقلٍ نفسًا تقوم بإظهار ما حواه ذلك العقل، فيظهر سرُّه بها؛ بل هي على الحقيقة سرُّ ذلك العقل، كما خلق حواء من آدم عليه السلام؛ لظهور ما في صلبه من الذرية، فالنفس الأولى الموجودة في باطن العقل الأول هي المسمَّاة بروح الأرواح لإطلاقها الكلي وحيطتها بنسخة الكمالات الإلهية كما هي عليه، وهي بعينها تسمَّى بالروح الإضافية المنفوخة في آدم وفي ذريته حال جزئيتها، فافهم.

والنفس الثانية الموجودة من العقل الكلي ومنه هي المسمَّاة بالروح الكليَّة المعبِّر عن اللوح المحفوظ بها؛ وهي ممتد للنوع الإنساني كما سبق بيانه.

ولكل سماء من هذه العقول الباقية السبعة نفس هي حقيقة الكوكب الموجود في سماء ذلك العقل، فنفس العقل الرابع حقيقة «كيوان».

ونفس العقل الخامس حقيقة «المشترى»، ونفس العقل السادس حقيقة «بهرام» وهو المريخ.

ونفس العقل السابع حقيقة «الشمس»، ونفس الثامن حقيقة «الزُهرة»، ونفس العقل التاسع حقيقة «عطارد»، ونفس العقل العاشر المعبَّر عنه بالعقل الفعَّال حقيقة «القمر».

فالأركان الأربعة آباء، وهذا العقل الفعَّال في الوجود والأرض والمعدن والنبات والحيوان جمعيه آباء هذه الأركان الأربعة، وتمَّ نظام العالم بوجود ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ**﴾ [الحديد:٤].

فالأيام هذه التي خلق الله السموات والأرض فيها هي: الجهات الستة التي أوجد الله العوالم فيها، واليوم السابع الذي استوى الله فيه على العرش هو: عدم الجهة المخصوصة له بحالٍ

دون غيره، فرتَّب الله تعالى الموجودات السفليَّة بواسطة الأركان الأربعة، ورتَّب الأركان بواسطة هذه العقول المذكورة، وترتيب موجودية هذه العقول العشرة كترتيب وجود الغدد من الواحد، فإن الاثنين مثلاً لا توجد إلا بوجود الواحد، والثلاثة لا توجد إلا بوجود الاثنين وهلمَّ جرًّا.

فلا يوجد عدد إلا بعد وجود ما قبله في المرتبة، والكل موجودون من الواحد، وليس الواحد من العدد؛ لأن كل عدد تضربه في عدد يخرج منه عددًا أكثر من مثل أحدهما، ولو ضربت جميع الأعداد في الواحد لا يخرج منها شيء؛ لأن الواحد ليس هو بعدد، فلو كان عددًا لخرج من ضربه في نفسه عدد.

ولهذا كان العقل الأول الذي هو عبارة عن حقيقة الروح المحمديَّة أصلاً لوجود العالم كلِّه عالم الأمر وعالم الخَلق، فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل والله منـــزَّه أن يكون علَّة لوجود شيء سبحانه وتعالى.

وقد علمت بما ذكرناه تفصيل خلقيَّة الوجود من محمد ﷺ، فإن سائر الأرواح الجزئيَّة مخلوقة من تلك الأرواح الكليَّة المخلوقة منها، والأجسام مخلوقة من الأركان المخلوقة منها فهو أوَّلُ الوجود وآخره.

وعن ذلك أفصح ﷺ بقوله: «**استدار الوجود في زمانه كهيئته يوم خلق الله السموات**»(١): أي كملت الدائرة الوجوديَّة بظهوره فيها صورةً ومعنى.

ولهذا كان ﷺ الختام المخصوص بمقام الجلال والإكرام فهو ﷺ كما كان أقرب الخلق وجودًا إلى الحق في الباطن سيكون أعلاهم درجةً في الجنة، وأقربهم إليه في الظاهر، وسمَّى الله تلك الدرجة التي وعده بها بالوسيلة، وما الوسيلة في المعنى إلا السبب، فهو في الابتداء سببُ وجود الخلق ودرجته من الانتهاء الوسيلة(٢)؛ لأنه سبب قُرب الخلق إلى الحق؛

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٧)، والطبري في تفسيره (٢/٢٧٥).

(٢) قلت: قال الشيخ الكتاني: ومقام الوسيلة قيل: إنه مقام حسي وأنه علم على أعلى منـــزلة ودرجة في الجنة وهي منـــزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقيل: إنه معنوي وهو أنه يكون في الجنة في قربه من الله القرب المعنوي بمنـــزلة الوزير من الملك من غير تشبيه =

=

ولا تمثيل يتوسل ويشفع في قضاء الحاجات ورفع الدرجات ونيل المطالب وحصول جميع الرغبات ولا يصل لأحد شيء إلا بواسطته وعلى يديه والمعنيان معا صحيحان في حقه ﷺ وحينئذ فهما وسيلتان إحداهما حسية والأخرى معنوية وكل منهما مختص به ﷺ.

وفي «شفاء السقام» لتقي الدين السبكي في الباب العاشر في الشفاعة أثناء كلام له ما نصه: لكن الشيخ عبد الجليل القصري في كتاب «شعب الإيمان» له ذكر في تفسير الوسيلة التي اختص بها النبي ﷺ أنها التوسل وأن النبي ﷺ يكون في الجنة بمنزلة الوزير من الملك من غير تمثيل لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطته ﷺ، انتهى.

وقال العارف بالله أبو يزيد الفاسي قدس الله سره في حواشيه على «دلائل الخيرات» وهي المسماة: بالأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات ما نصه: الوسيلة قال السيوطي في خصائصه هي أعلى درجة في الجنة وقال عبد الجليل القصري في شعب الإيمان الوسيلة التي اختص بها هي التوسل وذلك أن النبي ﷺ يكون في الجنة بمنزلة الوزير للملك بغير تمثيل لا يصل لأحد شيء إلا بواسطته، انتهى.

ونصه في «الشعب» وأما المقام الثالث من شفاعته ﷺ فإنها في الجنة وهي دائمة وهي مقام الوسيلة التي لا تنبغي إلا لمحمد ﷺ روى أبو سعيد الخدري ﷺ كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن وصلوا علي فإن من صلى علي صلاة صل الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

وهي مشتقة من التوسل الذي هو الطلب والدعاء والتشفع فالنبي ﷺ في الجنة في قربه من الله بمنزلة الوزير من الملك في درجة الوسيلة يتوسل ويشفع في قضاء الحاجات ورفع الدرجات ويستأذن في الزيارة العلية والنظر إلى الوجه الكريم وفتح أبواب حضائر القدس وغير ذلك وهو أول من يتقدم للزيارة وأول من ينظر إلى الله تعالى وأول في كل شيء فيتوسل لنفسه ولغيره فلا يرد على الخلق في الجنان خير إلا على يديه ﷺ لأنه أول من يرتقي في الدرجات فيرتقي بارتقائه ويزيد بزيادته كل من في الجنة فافهم فهمنا الله وإياك، انتهى منه بلفظه.

قلت: وحديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن أورده هكذا في الجامع الصغير من غير زيادة وعزاه لأحمد ومالك والستة من حديث أبي سعيد ثم أورده بلفظ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على الحديث كما تقدم وعزاه لأحمد ومسلم والثلاثة عن عبد الله بن عمرو بن العاص

=

=

وحينئذ فهما حديثان دخل له أحدهما في الآخر والله أعلم.

ومن كتاب «نقد النصوص» للعارف بالله المنلي الجامي قدس سره ما نصه:

وفي كتاب «الفكوك» يعني للشيخ الكبير صدر الدين أبي المعالي محمد بن إسحاق القونوي الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وإحكامه وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوًّا وسفلاً ولولاه من حيث برزخيته التي لا تغاير الطرفين لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الوجداني لعدم المناسبة والارتباط و لم يصل إليه فكان يفنى وأنه عمد السماوات والأرض ولهذا السر برحلته من مركز الأرض التي هي صورة حضرة الجمع وأحديته ومنـــزلة الخلافة الإلهية إلى الكرسي الكريم والعرش المجيد المحيطين بالسماوات والأرض ينخرم نظامها فبدل الأرض غير الأرض والسماوات إلى أن قال: فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة ولولا ثبوته من حيث مظهريته في الجنة التي محلها الكرسي والعرش المجيد لكان الحال فيهما كالحال في الأرض والسماوات وإنما قيدت ثبوته بقولي من حيث مظهريته من أجل ما أطلعنا الله عليه من أن الجنة لا تسع إنسانا كاملاً وإنما يكون منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما في ذلك العالم من الإنسان بل أقول ولو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث انتهى المراد منه بلفظه راجعه في الكلام على الفص الآدمي.

وفي عبارة لبعضهم قال: لولا ثبوت الإنسان الكامل في الجنة وعدم زواله منها لكان الحال فيها كالحال في الأرض والسماوات من زوالهما عند زواله منهما وكذا لو خلت منه جهنم لزالت بل إذا زال عن دار أي دار كانت فإنها تـــزول بزواله وإذا ثبت فيها فإنها تثبت بثبوته وكذا جميع الأمكنة ومنه تعلم أن العوالم كلها لا تخلو منه لأنها لو خلت منه لتلاشت واضمحلت لكونها ليس لها قيام ولا قوام إلا به ولجمعيته للأسماء الإلهية والإمكانية ومظهريته للطرفين وكونه برزخا جامعا بين قوسي الوجوب والإمكان لم تسعه الجنة ولا عالم من العوالم وإنما يكون منه في الجنة ما يناسب الجنة وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم وفي جهنم ما يناسب جهنم إذ لو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت أعني بما يناسبها منه وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث الشريف فلتفهم والله أعلم، انتهى.

وقال الشيخ شرف الدين القيصري في «شرح الفصوص» لدى ما ذكره الشيخ من أن الأمر إذا انتقل

فحصل له القُرب الصوري والمعنوي، وكمل له علو المكان وعلو المكانة.

ولهذا كان ﷺ أكمل العالم وصفًا وأعظمهم خلقًا، وأتمُّهم في الاعتدال صورةً ومعنى، خَلقًا وخُلقًا، وهذا موضع ذكر ذلك والله الموفّق.

# الباب الثالث

# في كمال خِلقته واعتدالها وظهور جمالها وجلالها ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﷺ ما هدر الورق وغنىَ، وهبَّ النسيم وهَنَا

اعلم وفَّقنا الله والجميع بروح القدس، وجمعنا وإيَّاكم في حضرة الأُنس أن الوجود المطلق بالنظر إلى مراتبه ومفرداته الموجودة ينقسم إلى قسمين:

**قسمٌ لطيف**: كالمعاني والأخلاق والأرواح وأمثالها.

**قسمٌ كثيف**: كالصور والأشكال والأجسام، وكل من هذين القسمين يتفرَّع إلى طرفين: طرفٌ أعلى من الوجود، وطرفٌ أدنى.

فالطرف الأعلى: المعنوي كالتحقيق والتخلُّق بالصفات الإلهية، وكالأخلاق المحمَّديَّة المحمودة في الإنسان، وجميع مراتب الكمالات معنويَّة.

فهذا العُلو يسمَّى علو المكانة ونهايتها لا تكون في الوجود الكوني؛ بل نهايتها عند الله لمن أراد الله تعظيمه عنده.

والطرف الأدنى: الصوري هو الأفعال الحسيَّة الصالحة المشهودة، والصور الحسيَّة الموجودة، والأشكال الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العالية المنيفة.

=

إلى الآخرة يكون الإنسان الكامل ختما على خزانتها ختمًا أبديًا ما نصه: وكون الكامل ختما على خزانة الآخرة دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما هي بواسطة الكامل كما في الدنيا والمعاني المفصلة لأهلها مفرغة من مرتبته ومقام جمعه أبدا كما تفرع منه أزلا وما للكامل من الكمالات في الآخرة لا يقاس على ما له من الكمالات في الدنيا إذ لا قياس لنعم الآخرة على نعم الدنيا. والله أعلم.

وهذا العلو الصوري يُسمَّى: علو المكان، وأعلى المكانات الجنة وهي متفاوتة في العُلو وأعلى درجاتها الوسيلة، كما قد أخبر ﷺ، وأخبر أن الله وعده بها، فهو ﷺ مخصوصٌ بصدى المكان الوجودي الصوري، كما أنه مخصوصٌ بعلو المكانة؛ إذ لا أحدَ أعظم قدرًا عند الله تعالى منه.

كما قد أخبر في الحديث النبوي حيث يقول له الحق:

**«وخبأت لك شيئًا عندي، ولم أخبأها لنبيٍّ غيرك»**[1].

ولهذا قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: أكمل الله الشرف لمحمد ﷺ[2] على أهل السماوات والأرض.

---

(١) رواه البخاري (١/٤٥٤)، ومسلم (٤/٢٢٤٠)، أبو داود (٤/١٢٠) بنحوه.

(٢) **قلت: ونذكر من صور التشريف الآتي**: قال الشيخ أبو عبد الله المكيُّ: ولهذا الاسم الكريم يعني محمدًا إشاراتٌ لطيفةٌ من حيث صورته ومادته: أي من جهة حروفه المادية، ومن جهة هيئته الصورية.

أما الأول: فلما اشتمل عليه في اعتبار حروفه من ميم الملكوت الأجلى، وحاء الحياة والحفظ الذي به، وفيه كتب العلم الأسنى، وميم الملكوت الباطني في ميم الملك الظاهر، ودال الدوام منه، والاتصال الماحية لوهميْ الانقطاع والانفصال.

وأما الثاني: فإن صورة هذا الاسم على صورة الإنسان؛ فالميم الأولى رأسه، والحاء جناحاه، والميم الثانية بطنه، والدال رجلاه، والإنسان صغيرٌ وكبيرٌ كما هو في مصطلح القوم انتهى.

للعلماء في تفسير الملك والملكوت عباراتٌ حاصلها أن الملك هو: التصرف في الأمور، وفي تحقيقه كلامٌ يطلب من محله، والملكوت: عظم الملك؛ لأنه مبالغة فيه كالرَّهَبُوت، ولهذا فسر الملك بعالم الشهادة، والملكوت بعالم الغيب، وهو عالم الأمر، وقيل: الملك: ما يدرك بالحس، والملكوت: ما لا يدرك به، وذكر بعضهم عبارةً أبسط من هذه فقال: عالم الملك: عالم الشهادة، ويقال: عالم الخلق، وهو عالم الأجسام والجسمانيات، ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض، وبتضمنه التغير، وعالم الملكوت عالم الغيب، ويقال له: عالم الأمر، وهو عالم الأرواح والروحانيات، وهو ما أوجده الله تعالى بالأمر الأزلي بلا تدريجٍ، وبقي على حالةٍ واحدةٍ من غير زيادة ولا نقصان، والجبروت عالم الأسماء والصفات الإلهية، يعني صفات العظمة والعلو، وقيل: هو عالمٌ بين العالمين يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك، فجبر بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت.

=

=

وأما الحاء: فقد تقدم أنه يمكن أن تكون إشارة إلى الحكم والحكمة والحلم.

وأما الدال: فيمكن أن تكون مشعرة بالدلالة كما سبق، ومظاهر الدلالة الكبرى أربعةٌ: وهي: العلم المأمور في الأزل بكتابة الكائنات، واللوح المحفوظ، وأمين الوحي، ومُبلغه للخلق عليهما أفضل الصلاة وأزكى التسليمات، ولا يعارض ما ذكرناه هنا ما أسلفناه؛ لأن المقام مقام التماس نكات، والنكات لا تتزاحم، فكل ما بدا وظهر للفهم من وجوه اللطائف المناسبة لا يبعد ولا يستنكر، وأما هيئته فحركة الميم الأولى هي الضمة التي هي أقوى الحركات، يناسبها قوة ذلك الملك، وظهور سلطانه، وإشارته في قوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣].

وفي نحو: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف:٨].

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة:٣٢].

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح:٢٨].

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء:٨١].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٥١].

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:٢١].

وحركة الحاء هي الفتحة، وكم فتح الله بحكمه وحكمته وحلمه قلوبًا عميًا وآذانًا صمًّا، ومناسبة فتح حاء الحكم لضمة ميم الملك، تظهر بأدنى توجه، وحركة الميم الثانية: الفتحة المؤيدة بالتشديد المشعر بتأكد ملك الآخرة؛ لبقائه واستمراره، وعزة آثاره، وعدم تناهي أسراره، وأما ملك الدنيا فهو وإن قوي سلطانه وظهر أبَّانه معرضٌ للزوال بزوال محله، فكأنه نموذجٌ بل مقدمة للثاني، وتقدم كلام الشيخ أبي عبد الله المكي في فصل معاني حروف الاسم المكرم فلا تغفل عما فيه.

وأما الدال: فموردٌ للحركات الإعرابية، وكذا للسكون إذا تجرد الاسم عن العوامل اللفظية والمعنوية، أو وُقف عليه، وهذا يناسبه توارد واردات الدلالات الملكية والإلهامية، وتنوع أنواع النعيم في دوام التنعيم، ومراتب التعظيم في دار التكريم، وسكون أشرف وارده بأعظم الموارد، ولا شبهه في التجرد حينئذٍ من طوارق العوارض الدنيوية، والدنيا دار الأكدار، والجنة دار القرار، فإن قبلت أن سكون الميم الثانية يسبب الإدغام يناسبه الإشارة إلى السكون البرزخي، وإلى أن البرزخ هو المنزلة الثانية الكائنة بين الدارين، الفاصلة بين المقامين، فلا بأس، وأيّ بُعدٍ لفهمٍ يُلتمس من سر ذلك المقتبس، وأن تدعني وخيالي، فقد رضيت بحالي، فاطوِ عنّي بيانك وبديعك، لا أسمع صنيعك، ما أنت طبيبي،

=

=

خلني وحبيي، لا زال هيامي يتجدد، وغرامي يتأكد، وفؤادي يتوقد.

إذا ذُكر اسم محمدٍ هنالك تقوم القلوب على أقدام الخدمة، وتطرق رؤوس العقول؛ مهابةً لتلك الحرمة، وتذرف عيون الأرواح حنينًا إلى تلك النعمة، وتسبح الملائكة تعظيمًا لتلك النعمة، وتطمئن العوالم لعموم تلك الرحمة، أول من وحَّد نور محمد، قارن في أشهد، إذ هو أحمد، سيد من يحمد، أشرف من يحمد، صَدَا الجوانح، من نداءه صائحٌ، والشوق صادحٌ، والبدر لائحٌ.

أشـــرقَ البدر علينا من ثنيَّات الوداعِ  وجـــب الشكر علينا ما دعا لله داعْ

قال بعض أرباب التسليك: الناظرين إلى مدارج الإيقاظ لا إلى إعراب الألفاظ وكسر قفص طبعك يكشف لك الغُطا، ألقِ للأكوان سمعك تسمع كلَّ شيء.

قال الجلال السيوطيُّ في الخصائص: ومن خصائصه أن الله تعالى قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعده ووعيده؛ تشريفًا وتعظيمًا.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١].

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:٧١].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:١٥].

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:١].

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٢٤].

﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر:٤].

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الجن:٢٣].

﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة:٣٣].

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ﴾ [التوبة:١٦].

﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٢٩].

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال:١].

=

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم أقوم عن يمين العرش، وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري**»(١).

وأول هذا الحديث هو ما جاء في الحديث المروي عن أنس ﷺ حيث يقول:

قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مُبشِّرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولدِ آدم على ربي ولا فخر**»(٢).

وفي رواية عنه ﷺ في لفظ هذا الحديث: «**وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا حُبسوا لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي**»(٣).

وفي حديث أبي سعيد عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة.**

**وبيدي لواء الحمد ولا فخر.**

**وما من نبيٍ يومئذ آدم فمَن سواه إلا تحت لوائي**»(٤).

---

=

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٥٩]، ﴿أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٧٤].

﴿كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:٩٠].

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، انتهى.

(١) رواه الترمذي (٥/٥٨٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٠).

(٢) رواه أبو يعلى في معجمه (١/١٤٧) بنحوه، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/١٨٢).

(٣) رواه الدارمي (١/٣٩)، وأبو يعلى في معجمه (١/١٤٧).

(٤) قلت: اللواء: علم أجلّ من يتقدَّم بالجيوش من نبيٍّ في زمان النبوة، أو خليفةٍ في حضرة الخلافة، أو أميرٍ في موقع الإمارة، أو ملكٍ في زمن الملك، وهو ما يرجع إليه الاتِّباع من علمٍ مشهود بجمعهم إلى واحدٍ من أعلامٍ متفرقةٍ، فهو علم الأعلام الذي تجتمع إليه الأعلام الجامعة، فهو ﷺ في ذاته لواء حمد ربِّه، واسمه أحمد ومحمد لواء الأسماء، وهو صاحب اللواء يوم القيامة كما قال ﷺ: «أنا صاحب لواء

=

=

الحمد يوم القيامة، ولوائي يبلغ المشرق والمغرب، والأنبياء والمرسلين كلُّهم تحت لوائي، ولا فخر».

والحديث رواه الترمذي (٥/٣٠٨)، وأحمد (١/٣٨١)، والحاكم في المستدرك (١/٨٣)، والبيهقي في الشعب (٢/١٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٤/٢١٥)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٦)، والمناوي في فيض القدير (٦/٣٦٤)، وبنحوه.

وإنما اختصَّ ﷺ بلواء الحمد بما أشهده الله من كلية أمر الله وخلقه جمعًا، لا مذمَّة فيه، ولا عيب يلحقه، ولا نقص يتطرق إليه من حيث إنه ينظر إليه من هو قائمٌ بقيوميَّة الله حمد في جمعه وبفضله ورتقه وفتقه ووصله وفصله، وإنما يفقد الحمد من ينظر إلى التفضيل والتفريق غير ناشئٍ عن وحدة جمعٍ، ولا مفروج عن جمع إحاطةٍ، وأصل منفرد واحدٍ، فيتفضَّل له الكون في مدحٍ وذمٍّ من حيث ينحجب عن مجرى القيومية فيه وسوائها في تكوينه، فلا يكون ذا حمدٍ ولا يزال صاحب مدحٍ أو ذمٍّ مفترقٍ ولا منفرجٍ.

واعلم أن نباء المعاد نباءٌ بواسطة ملكوتي بين بادية كائن يوم الملوك وغاية مما وراء عالم الملك والملكوت جمعًا، فهو ﷺ صاحب الحمد في الدنيا، وصاحب لواء الحمد في يوم المعاد، ومشهد الحمد لأهل الحمد، الذي إليه الانتهاء شهادة اللواء للجمع في عقبى نهاية العود إلى الله، الذي إليه المنتهى وليس وراءه مرمًى، فذلك كمال الحمد الآلي في يوم الملك، ولمن شاء الله أن يلحق بهم فيما وراء ذلك إلى أن يرضى ﷺ الرضا الموعود الذي قيل له فيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥].

وروى أحمد في المسند (٣/٢)، والترمذي (٥/٥٨٧) وقال: حسن صحيح، عن أبي سعيد الخدرى مرفوعًا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، ما من نبـــي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر».

وذكر الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية في الباب الثالث والسبعين في الجواب عن السؤال السادس والسبعين من أسئلة الحكيم الترمذي وهو: ما لواء الحمد بعد أن ذكر أنه حمد الحمد وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة وإنه سمي لواء لأنه يلتوى على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد، وإنه لا يكون إلا بالأسماء وآدم عليه السلام عالم بجميعها كلها في المقام الثاني من مقامه ﷺ ما نصه: فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه بجوامع الكلم والأسماء كلها من الكلم و لم تكن في الظاهر لمحمد ﷺ عينا فيظهر بالأسماء لأنه صاحبها فظهر ذلك في أول موجود من البشر وهو آدم عليه السلام فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ لأنه تقدم عليه بوجوده الطيني فمتى ظهر محمد ﷺ كان أحق بولايته ولوائه فيأخذ

=

**وأنا أول مَن تنشق عنه الأرض(١) ولا فخر».**

=

اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمن آدم فهم في الآخرة تحته فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع، انتهى.

(١) الانشقاق: مصير الشيء الواحد شقين، والشق: الناحية وأحد الفلقتين من الشيء المشقوق، ولما كان ﷺ أول النادي في الإبداء حين كان أول ما خلق الله ﷻ نوره كما قال، فسجد فبقي في سجوده سبعمائة عام، فكان أوَّلٌ، وأول ساجدٍ في الإبداء الأول، كذلك هو ﷺ أول قائمٍ وأول ساجدٍ في افتتاح الإعادة؛ لتكون له الأولية في الإبداء والمعاد بما هو أول كل شيءٍ؛ فهو الأول في البدء والأول في العود، وكان للأرض من التطرف إلى غيب الثرى ما للنور من التطرُّف إلى غيب العلا، فظهر اختصاصه بالأولتين على الغيبين: غيب العلا، وغيب الثرى، فقد ورد أنه ﷺ هو المنادى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر:٢٧،٢٨،٢٩] بالإفراد، وإنما يقرُّ عينه أن يبشر أنه لم يُبعث أحدٌ قبله، فجعل الله له من تلك البشرى أسماءً تلزمه حقيقته من وراء رتبة الدراية، وذلك أن للقلب أسنانًا في رتب اطِّلاعه كما أن للجسم أسنانًا في أطوار طلوعه، فللعلم حدٌّ، وللفقه فيه حدٌّ، وللدراية فيها حدٌّ، وللمعرفة فيه حدٌّ، فربما كان الأمر مما لا يناله الفقه ويناله العلم، ومما لا يناله الدراية ويناله المعرفة، فهو والله أعلم مقتضى قوله ﷺ: «فأجد موسى آخذًا بساق العرش فلا أدري أبُعث قبلي أم جُوْزِيَ بصعقة الطور»، فأنبأه أن ذلك ليس في الدراية؛ فهو كائنٌ فيما وراء الدراية من تعريف الله أنه هو ﷺ الأول في انشقاق الأرض عنه وفى بعثه من حيث إن أمر المعاد مستوٍ على حكم الإبداء، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

ومن حيث التعلق بساق العرش الذي هو غايةٌ في موقف المبعوث يؤذن إفهامًا وتحقيقًا ببداية البعث من دون المنتهى في بعثه إلى أعلى العلا مارًّا بساق العرش إلى ما وراء إحاطته؛ لأنه الخاتم المخصوص بالأوائل والأواخر، المتَّصل له طرفاهما اتصالاً، به اتصل المتصلون، فما لم يكن في الدراية أوتيه ﷺ من رتبة المعرفة وما وراء ذلك من اليقين بالعيان والوجدان، كما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١،٢،٣]، فقرر على أن ذلك ليس في الدراية؛ لأن الدراية اطِّلاعٌ يتأتَّى إليه الناظر المفكر بما قدم إليه في فطرته ورتبة عقله، فما لم يكن في رتبتها نُفي عنها، وربما اطّلع على ما لا تدركه الدراية مما ورائها، كما قال تعالى إنباءً بما هو في غيب عن الدراية.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ*وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ*فَأَمَّا مَنْ

=

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول ﷺ: «**ألا وأنا حبيبُ الله**»(١).

وله في رواية عنه ﷺ: «**أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ أنه قال: «**أتاني جبريل، فقال: قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ**»(٣).

وعن العرباض بن سارية ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني عبد الله، وخاتم النبيين**

---

=

ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ*وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ*فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ٤:١٠].

ثم فسرها تعالى له وأنبأه بها اطلاعًا من غيب، فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:١٠].

ومنه مقتضى قوله تعالى: ﴿ما أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩]، فما يفعله الله تعالى به وبخلقه ليس في الدراية التي أتمها عنده ولا فيما يليها مما عند من دونه، وقد عرفه الله بما اقتضته العناية مما قصرت عنه الدراية بما يفعل به وبأمته من فضلته ورحمته وقربه وأدناه إلى ما لا يُقال مما هو واجده غير فاقده، وهو الذي يعرف التطاير من أمته الأولين في خيرهم وشرِّهم، وعاين أمته صورًا كما عاين آدم عليه السلام ذريته صورًا، وأحاطت قبضتاه بكتاب أهل الجنة في يمينه وأهل النار في شماله إلا أن ذلك كله مما ليس في الدراية.

وهو ﷺ يخرج خطابه لكل قومٍ على ما يليق بعقولهم وبما يقتضيه الموطن من الإبحام لأمر الله، فينبئ عن رتبة الإبحام أو من الإعلام بثناء الله، فينبئ عن تفضيل آيات الله، فكما هو كل رسولٍ يتكلم بلسان قومه فهو ﷺ بما هو رسول الله لكافّة الخلق على اختلاف ترتبهم وتفاوت ترقّيهم وتدانيهم يتكلم لكل أهل رتبة بما في رتبة عقولهم؛ لأن المعاني ألسنةٌ كما أن اللغات ألسنةٌ، كما قال عمر ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يكلم أبا بكرٍ لا أفهم ما يقولان شيئًا، كأنما يتكلمان بلسانٍ أعجمٍ».

فبذلك يتضح أن رتبة الدراية إن لم يكن فيها فرقان من أمر موسى عليه السلام ففي العرفان أنه ﷺ هو أول من تنشقُّ عنه الأرض؛ تحقيقًا للاسم في معناه، وإظهارًا لأوليته في الإعادة اتصالاً بأوليته في الإبداء.

وانظر: إبداء الخفا (ص١٢٨) بتحقيقنا.

(١) رواه الترمذي (٥/٥٨٧)، والدارمي (١/٣٩).

(٣) رواه الترمذي (٥/٥٨٧)، الدارمي (١/٣٩).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦/٢٣٨)، واللالكائي في الاعتقاد (٤/٧٥٢).

**وإن آدم لمنجدل في طينته، وأنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى بن مريم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين»**[(١)].

والأحاديث في أكمليته وإحاطته بجميع الكمالات صورةً ومعنًى، كثيرة لا تُحصى فاكتفيت من ذلك بما أوردناه؛ إذ لا منازع في أكمليته ﷺ ولا مدافع.

فله عُلو المكان المعبِّر عنه بحقائق الأسماء والصفات وله علو المكان المعبِّر عنه بالوسيلة والمقام المحمود. فهو ﷺ أعلى الموجودات مكانةً ومكانًا.

فاختصَّ ﷺ بغاية العلو الوجودي صورةً ومعنًى.

وهذا هو الطرف الأعلى المعبِّر عن المكان والمكانة بجانبه من طرف الوجود، والطرف الثاني وهو الطرف المعبِّر عن جانبه بسقوط المكانة والمكان، وذلك حظ إبليس وجنده وهم الأشقياء كما مضى بيانه في الجزء الذي هو قبل هذا الجزء من كتاب الناموس الأعظم، والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ.

فلنقبض عَنان القول عن إعادة ما مضى ولنتكلم على ما نحن بصدده من دلائل إحاطته ﷺ بالأكمليَّة، وترقِّيه في العلو الوجودي مكانًا ومكانةً صورةً ومعنًى.

فنجعل الكلام في هذا الباب على فصلين:

## الفصل الأول
## في الكمال المعنوي الذي هو الشاهد له ﷺ في علو المكانة عند الله تعالى

اعلم أيَّدك الله تعالى وإيَّانا بروحٍ منه، ولا أخلى الجميع عنه أن الكمال المعنوي ينقسم إلى قسمين:

قسمٌ كمالي إلهي يتحقق به الكمَّل رضوان الله عليهم، كما قال ﷺ:

**«تخلَّقوا بأخلاق الله»**[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣١٣/١٤)، وابن حبان (٦٥٦/٢).

(٢) قـال الشيخ جعفر: إن الله تعالى مكنه من التخلق بأخلاقه والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته والعمل =

وقسمٌ كمالي كوني يتخلّق به الإنسان وهي الصفات المحمودة التي مجموعها مكارم الأخلاق.

ولا شك ولا خفاء أنه لا يجمع أحد من خَلق الله ما كان عليه محمد ﷺ من مكارم الأخلاق؛ لأنه متمّمها حيث يقول ﷺ: «**بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق**»(١).

فمنه ابتُدأت، وبه اختُتمت وتمت.

ولهذا قال الله تعالى له في حقّه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

وكتب السِير المرويَّة عنه ﷺ مشحونة بمكارم الأخلاق الفائضة من طيبات أعراقه، وهي لا تحصى كثرة؛ بل والله كل ما وردَ عنه من مكارم الأخلاق التي له ﷺ؛ هي كالقطرة من البحر بالنسبة إلى ما لم يرد ولم يُحكَ عنه، وهي له حقيقة وتحقيقًا(٢).

---

=

بمقتضاها والتعبد له بما يمكن أن يتعبد به منها وبقدر ما يتصور في حقه وأمره بذلك كما في الحديث الذي ذكره الشيخ أبو حامد الغزالي في «المقصد الأسني» والشيخ عبد الجليل القصري في «شعبه» والقاشاني في «لطائفه» والجيلي في «إنسانه» وغير واحد من الصوفية، بل وذكره أيضًا الحافظ السيوطي في «تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية»، والمحدث شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية إلا أنهما لم يذكرا له مخرجًا وهو: «تخلقوا بأخلاق الله تعالى».

وفي لفظ ذكره بعضهم «بأخلاق الرحمن».

وفي «الرسالة القشيرية»، «والإحياء» للغزالي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود تخلق بأخلاقي إني أنا الصبور يعني من الصبر.

وورد في عدة أحاديث إن لله تعالى كذا وكذا خلقًا، وفي لفظ شريعة من أتاه بواحد منها دخل الجنة.

(١) رواه البيهقي في الكبرى (١٠/١٩١)، والحكيم في النوادر (٢/٣١٢)، والقضاعي في المسند الشهاب (٢/١٩٢).

(٢) قال الشيخ جعفر الكتاني: وقد أخرج أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والحاكم وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن أبي الدرداء قال: سألت عائشة عن خلق =

=

رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: أتيت عائشة فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان أحسن الناس خلقًا كان خلقه القرآن.

تشير كما قاله غير واحد إلى المعنى الذي ذكرناه وتومئ بطرف خفي إلى ما أسلفناه، ومنه يعلم أن كمالات خلقه ﷺ وأوصافه الجميلة ونعوته الجلية لا تتقاضى ولا تتناهى كما أن معاني القرآن كذلك وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر وقيل أنها أشارت إلى أن جميع ما فصل في كتاب الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب مما قصه عن نبي أو ولي أو حث عليه أو ندب الخلق إليه فإن نبي الله ﷺ كان متخلقًا به وفاعلاً له وأن جميع ما نهى عنه فيه أو ذم أو أشير إلى ذمه فإن نبي الله ﷺ كان تاركا له ولا يحوم حوله وهو معنى قول من قال: وصفه الحق بالخلق العظيم لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، وقول الآخر وصفه بآداب القرآن والآخر وصفه الله وقيل: وصفه بذلك لأنه عرض عليه مفاتيح الأرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملكوت فلم يلتفت إليه كما قال الله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧] فلم تكن له كما قال الجنيد: همة سوى الله.

وقال الواسطي: إنما كان خلقه عظيمًا لأنه جاد بالكونين، واكتفى بالله عز وجل.

وقال الحسين بن منصور: لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعة الحق وقيل: لأنه صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة تكونها وقيل: لأنه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه، ولذا قيل التصوف: حسن الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل: لأنه احتمل في الله البلاء وما شكى بل رحم وعفا، وقيل: لأنه كان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل وقيل غير هذا مما كله صحيح في جنابه ﷺ وينطبق عليه الانطباق التام وقد ورد: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وفي رواية: صالح الأخلاق، وفي أخرى: حسن الأخلاق، أخرجه ابن سعد في «طبقاته» وأحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الشعب».

وفي السنن عن أبي هريرة، وابن سعد عن مالك بلاغًا ومعناه أن مكارم الأخلاق ومحاسنها من علم وحلم وحياء وتواضع وحسن عشرة وعفو وصفح واحتمال وسخاء وصبر وشكر وعدل وزهد وشجاعة ومروءة وصمت ووقار وتؤدة ومحبة وأمانة وعبادة ورجاء وخوف وشفقة وعفة وغير ذلك كانت قبل وجوده ﷺ متفرقة في العالم كل واحد منهم حاز منها القدر اللائق به والنصيب المناسب لحاله ومقامه وبعد كونها كانت متفرقة فيهم كانت ناقصة الكم وناقصة الكيف فلما وجد ﷺ وبعث

=

=

جمــع الله فــيه متفرقها وأكمل ناقصها فصار مجمعًا للخصال الحميدة الخارجة للوجود كلها مكملاً لنقصها ومتممًا لما بقى من ذواتها وأعدادها بحيث لم يخرج منها ومن كمالها شيء للوجود الخارجي إلا وهو فيه ﷺ، ومجتمع في ذاته الكريمة خصوصية له ﷺ، وكرامة له من ربه تعالى، فكما حاز ظاهره الشـــريف الجمال كله على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود كذلك حاز باطنه الكريم الكمال كله والأخلاق الشريفة بأجمعها جملة وتفصيلاً على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى مـــا خرج للوجود فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل فلما كانت المحاسن الظاهرة أعلامًا على الأخلاق الباطنة.

واختص ﷺ من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه بشر ولا مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الأخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق ولا بشر أيًا كان.

وقد وسعت أخلاقه كلها ومحاسنه بأجمعها أفراد أصناف بنى آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم بأسره ولـــذا بعث إلى الكل وكان القدرة العظمى لجميع الخلق في كل علم وكل حكم وكل حكمة وكل خلق حسن وأمر مستحسن وكل كمال على الإطلاق.

وقال الشيخ أبو الحسن الحرالى: لما كان عرفان قلبه ﷺ بربه ﷻ كما قال: «بربي عرفت كل شيء» كانت أخلاقه أعظم خلق، فلذلك بعثه الله إلى الناس كلهم، فكل من كان الله ربه فمحمد ﷺ رسوله، فكما أن الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين انتهى.

ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه ﷺ ويتضح معنى قوله: «لا يعرفنى حقيقة غير ربى» ثم هذه الأخلاق العظيمة بالنظر لأصولها جبلية جبل ﷺ عليها في أصل خلقته وأول نشأته لم تحصل له باكتســـاب ولا رياضة إلا بجود إلهى وخصوصية ربانية كما أن إخوانه من النبـــيين والمرسلين كذلك ومـــن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك، وأما كمالها وتمامها فيه ﷺ فهو مكتسب من القرآن لتأدبه بآدابه وتخلقه بمحاسنه وأخلاقه والتـــزامه لأوامره وزواجره في أحواله وأموره كلها ظاهرًا وباطنًا قولاً وفعلاً لكن اكتسابًا كأنه جبلى لا جذاب نفسه الشريفة إلى ذلك الكمال وطلبها لتحصيله فاعلم ذلك.

هذا وقد أورد السهروردى في عوارفه قول عائشة السابق، ثم قال بعد كلام ما نصه:

ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقًا بأخلاق الله تعالى، فعبرت عن ذلك المعنى بقولها: كان خلقه القرآن)؛ استحياءً من سبحات الجلال، وسترًا للحال بلطيف المقال

=

=

وهذا من وفور علمها، وكمال أدبها وبين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] وبين قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] مناسبة مشعرة بقول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن، انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً: وقال أبو سعيد القرشي: العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «إن لله مائة وبضعة عشر خلقًا من أتى بواحد منها دخل الجنة» فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، انتهى.

وفي «الفتوحات» في الباب السادس والأربعين وأربعمائة ما نصه: وإنما قالت عائشة ذلك لأنه أفرد الخلق ولابد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعا لمكارم الأخلاق كلها ووصف الله ذلك الخلق بالعظمة كما وصف القرآن بالعظمة في قوله والقرآن العظيم فكان القرآن خلقه فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر إليه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ فكأن القرآن أنشيء صورة جسمية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى بجملته فمن يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا ينطق عن الهوى فهو لسان حق، انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعبه في الشعبة الموفية خمسين وهي حب الرسول ﷺ بعد ما ذكر فيها شيئًا من جمال شخصه الكريم الطاهر ما نصه: وأما جمال ذاته الباطنة وروحه المقدس فمن ذا الذي يصفه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] فلا أعظم مما عظم الله عز وجل فالخلق صفة ذاته الباطنة وقد روت عائشة رضي الله عنها في الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] قالت: كان خلقه القرآن والقرآن هو النور المبين الذي يستمد منه كل نور في الموجودات والقرآن هو الجامع للأسماء والصفات الربانية القائمة بجميع الأشياء أوجد الله تبارك وتعالى عن كل معنى من معاني أسمائه وصفاته القديمة معاني محدثة بها في العالمين فأوجد العلم عن علمه وهكذا جميع أسمائه وصفاته فخلق نور محمد ﷺ وذاته الباطنة عن معاني القرآن وخلقه بكل صفة محمودة فيه والقرآن الجامع لمعاني الكتب كلها وهو المهيمن عليها ولذلك سمي قرآنا والقرء هو الجمع فهو جامع لكل نور وخير وبركة وحسن وجمال ومنه تستمد جميع العوالم، وقد ورد في الأخبار أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ يعني ذاته النورانية الباطنة، انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضًا: في الشعبة الرابعة والخمسين وهي شعبة حسن الخلق بعد ذكر قول عائشة في تفسير الآية كان خلقه القرآن ما نصه: أي متخلقًا بأوصاف الربوبية لأن القرآن هو الجامع لصفات الباري جل

=

فما وردَ يسير في جنب ما لم يردْ على أن ما وُرد لا يجمعه هيكل سواه، ولم يحظَ به أحدٌ غيره ﷺ، وقد علمت بذلك كماله الخلقي.

وأمَّا كماله الحقي الذي قد حباه الله تعالى به فأعظم من أن يُدرك لها غور، أو يعرف له غاية؛ إذ كان ﷺ متحققًا بجميع الأخلاق الإلهية.

وقد أوردت ذلك صفةً صفةً واسمًا اسمًا في كتابنا الموسوم بالكمالات الإلهية في الصفات المحمَّدية، وسأذكر من ذلك ما دلَّ عليه الكتاب الحديث تصريحًا، وإشارةً وتلويحًا.

فمن ذلك اسم الله، والدليل على أنه ﷺ كان مُظهرًا لهذا الاسم:

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧] (١).

---

=

وتعالى، ثم قال بعد كلام: فإن القرآن هو الجامع للأسماء والصفات، وهو معنى الخبر الذي روت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] قالت: كان خلقه القرآن فأخلاق النبي ﷺ من القرآن مأخوذة فكان ينظر إلى أوصاف بارئه وأخلاقه جل وتعالى فيقتدى بها ويتعبد له بها على حسب ما أقر وقد روى عنه ﷺ في ذلك خبر روى عنه أنه قال: تخلقوا بأخلاق الله، انتهى بلفظه أيضًا.

تنبيه: كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل وعقل نبينا ﷺ وصل في الكمال إلى غاية لم يصل ولا يصل إليها مخلوق أبدا ومن ثم روى داود بن المحبر في كتاب العقل له عن ابن عباس قال: أفضل الناس أعقل الناس وذلك نبيكم ﷺ. وانظر: جلاء القلوب (بتحقيقنا).

(١) قال ابن زكري في شرحه للصلاة المشيشية: فأسند رميه إلى الله ولا تتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذى حق حقه وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها فله كل الأسماء يتصرف بها في العالم حسب استعداداتها ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على جهتين الإلهية والعبودية لا يصح لها ذلك أي الإلهية أصالة بل تبعية وهى الخلافة فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات لتتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها أيضًا لأنها منه وبكاؤه عليه الصلاة والسلام وضجره وضيق صدره لا ينافي ما ذكر فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء من حيث مرتبته وإلا كان يقول من حيث بشريته للعالم فالضجر من يقع حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص

=

وقوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وهذا معنى قوله ﷺ: «**أنا عبد الله**»[١].

وهذه العبودية الخاصة به عبارة عن تسميته باسم ربه لتخلُّقه بأخلاقه ﷺ، ولا يستبعد هذا الأمر في تعظيم الله له؛ إذ ذلك لا يطعن بالحق تعالى، وماذا ينقص هذا في الكمال الإلهي؟ أليس الله تعالى قد سمَّاه صريحًا بأسماءٍ كثيرة من أسمائه تعالى[٢]؟.

=

الإمكانية من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والتنـزل إلى العالم السفلى ليحيط بظاهره خواص العالم الظاهر وبباطنه بخواص العالم الباطن فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين فنـزوله أيضًا كماله كما أن عـروجه إلى المكـان الأصلي كماله فالنقائص أيضًا كمالات باعتبار آخر يعرف من تنور قلبه بالنور الإلهى إلى أن قال فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة وهو الحقيقة المحمدية ﷺ وباعتبار حكم الكثرة متعدد وقبل انقطاع النبوة قد يكون القائم بالمرتبة القطبية نبـيًا ظاهرا كإبراهيم صلوات الله عليه وقد يكون وليًا خفيا كالخضر في زمـن موسـى عليهما السلام قبل تحققه بمقام القطبية وعند انقطاع النبوة أعنى نبوة التشريع بإتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقًا فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قـائم في هذا المقام ليحفظ به هذا الترتيب والنظام قال سبحانه ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] كما قال في حق النبـي ﷺ: ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٣] إلى أن اختتم بظهور خاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المطلقة فإذا كملت هذه الدائرة أيضًا وجب قيام الساعة ، انتهى المراد منه بلفظه.

(١) رواه البخاري (١٥٧٥/٤)، ومسلم (٧٣٥/٢).

(٢) **قلت: ومنها**: محمد، أحمد، طه، يس، المزمِّل، المدثِّر، النبيُّ الأميُّ، الأبرُّ بالله، الأبطحيُّ، الزمزميُّ، أتقـى الـناس، الأتقى به، الأتقى لله، أجود الناس، الأحد، أحسن الناس، الآخذ بالحجزات، الأول، الآخـر، الأمين، الصادق، آخذ الصدقات، أحيد أمتي عن النَّار، الأخشى لله، أذُن خير، الآمر بالخير، الـناهي عـن المنكر، أرجح الناس عقلاً، أرحم الناس بالعيال، البشرى، الواسط، الواسع، الواضح، الواعد، الواعظ، أشجع الناس، الأصدق في الله، أطيب الناس ريًحا، الطيب، الأعز، الأعلم بالله، أكثر الأنبياء تبعًا، أكرم الناس، الوَرِع، الوسيلة، الوفي، المولى، وليُّ الفضل، أكرم ولدِ آدم، إمام الخير كله، قائد الخير كله، ولي الأمر كله، إمام الخير، إمام الرسل، إمام المتقين، إمام النبيين، الإمام الآمر، الآمن، =

=

أمين أمته، أمنة أصحابه، أنعم الله به، أوّل شافعٍ، أول مُشفَّع، وأول المسلمين، أول المؤمنين، صاحب البرهان، القائد، التاجز، الناشيء، الناشر، الناصب، الناصح، الناصر، الناطق، نبيُّ الأحمر، نبيُّ الأسود، نـــبيُّ التوبة، نبيُّ الرحمة، نبيُّ الزحمة، النبيُّ الصالح، نبيُّ المرحمة، نبيُّ الملحمة، نبيُّ الملاحم، النبيُّ، النجم الثاقب، النجم الزاهر، النذير، النسيب، البشير، البصير، بُشرى عيسى، بُشرى موسى، بشير آدم، بشير الملائكـــة، البليغ، باب البيِّنة، باب القيامة، باب الله، النعمة، نعمة الله، النقيب، النقيُّ، النور، الهادي، الهـــاشميُّ، الميسّـــر، المؤيَّد، الوليُّ، المؤمن، الموقَّر، الموحَى إليه، المؤتَى جوامع الكَلِم، المؤتَمن، المهيمن، المهـــدي، المهتدي، المهاجر، المنير، المنيب، التالي للكتاب، التذكرة، التقيُّ، التِّهاميُّ، ثاني اثنين، ثابت الحجَّة، ثالث ثلاثة، المؤيِّد، المؤمن، المولي من شاء، الموتر، المؤتَمِن، أعطاه الله جوامع الكلم، المنصور، المنصف، المختار، المنـــزَّل عليه، المنذر، المنتصر، المنادى، ملقى القرآن، مانع الأعداء، الممنوع عن كل خاطرٍ، وذو الملاحمِ، المكّي، المكين، المكفى، المكرَّم، المقيم، القيِّم، المعضود عليه، المقفى، وقيل: بزيادة تاء بعد القاف، مقيم السنة بعد الفترة، المقدس، المقتفِي يعني: اقتفى النبيين بالعصمة، المقتصد، المفضَّل، الفاضل، المفضال، الفضل، معلم أمته، المعلم، المعلي، المظفَّر، العزيز، المعصوم، المعطي، المعقب، المُصلح، المصـــلَى عليه، المتصرف، المصناع، المطهِّر، المطهَّر، المطَّلع، المطيع، الجبار: معناه كثير الهيبة والجلال، المُحمد، الجواد، الخاتم، الحاشر، الحافظ، الحاكم بما أراه الله، الحامد، الحامل لواء الحمد، الحبيب، حبيب الرحمن، حبيب الله، الحجازي، الحجَّة عَلَى سائر العباد، الحجَّة البالغة، حرز الأعين، الحرمي، الحريص عَلَـــى الإيمان، الحفيظ، الحق، الحكيم، الحليم، حمَّاد، حمطايا، أو قال: حمياطا من: حم عسق، الحميد، الحنـــيف، خـــاتم النبـــيين، المستقيم، المسرَى به، المسعود، المسلم، السالم، المشاور، المسرد، المشفَّع، المشـــفوع، المشهود، المشير، المصارع، المصافح، الصادق، المصدق، المصدوق، المصطفى، الخازن لمال الله، الخاشع، الخاضع، الخالص، الخبير، خطيب الأنبياء، الخليل، المنبت، المجتبى، المجير، المحرص، المحرم، المحفـــوظ، المحلـــل، المحمود، المخيَّر، المختار، المخلص، المدني، مدينة العلم المذكر، المذكور، المرتضى، المرسل، المرتل، المرفع الدرجات، المربِّي، المزكّي، المزيل، المستغفر، المسبِّح، المستغني، الكامل في جميع أموره، الكريم، كهيعص، اللسان، الماجد، الماحي، المأمون، المانح، ماء معين، المبارك، المبتهل، المبشِّر، المـــبعوث، المـــبلِّغ، المسبِّح، المبيِّن، المتبتِّل، المتبسِّم، المتربِّص، المترجِّم، المتضرِّع، المتلو عليه، المتهجِّد، المتوســـط، المتوكِّل، المتوسِّل، المنيب، فضل الله، فواتح النور، القسم، الباقي، القاضي، القانت، قائد الخير، قائد الغرِّ المحجَّلين، القائل، القائم، القتَّال، القتول، قثم القثوم، قدم الصدق، القرشيُّ، القريب، المعمر، القيِّم: ومعناه الجامع الكامل، وصوابه بالمثلثة بدل الياء، كما قاله عياض.

=

=

**قال في ذلك السخاوي**: الكافِي كافة الناس، العال، خير البريَّة، خير خلق الله، راكب البعير، راكب الجمـــل، الراضع، الراضي، الراغب، الرافع، راكب البراق، صاحب المقام المحمود، صاحب الوسيلة، صـــاحب المعجـــزات، ذو القوَّة، ذو الصراط المستقيم، ذو الخُلق العظيم، صاحب الحوض المورود، الذاكـــر، الذكر، المذكور، دعوة النبيين، دعوة إبراهيم، دار الحكمة، الداعي إِلَى الله، خِيرة الله، خيرة هذه الأمة، خير الناس، خير العالمين، طراز الرحمة، راكب النجيب، رحمةٌ للأمَّة، رحمةٌ مُهداةٌ، الرحيم، الرســـول، رسول الراحة، رسول الرحمة، رسول الله، رسول الملاحم، رسول المحبِّين، الرشيد، الرفيع، الذكر الحكيم، الرقيب، روح الحق، الضحَّاك، الظاهر بالظاء المعجمة، الضحوك، طاب الطاب، الطائر، الطبيب، طسم، طس، العابد، العادل، العاقب، العامل، العالم، الحامي، عبد الله، العبد، العدل، العربي، العروة الوثقى، العزيز، العظيم، العفو، العفيف، العليم، العلي، العلامة، روح القدس، الرءوف، الزاهد، زعيم الأنبياء، الزكي، زين من فِي القيامة، الغالب، الغني بالله، الغيث، الفاتح، البارقليط، وقيل بالياء، الخـــارق، الفـــتَّاح، الفجـــر، المفرط، الفصيح، السابق للخيرات، سائق العرب، الساجد، سبيل الله، الســـراج، الســـعيد، السميع، السلام، سيد ولد آدم، سيد المرسلين، سيد الناس، سيف الله المسلول، الصفوح، الصفوة، الصفي، صراط الذين أنعمت عليهم، الصادق، الصبور، الصدق، صراط المستقيم، الصـــادع بمـــا أُمر، المصداق، الحق، الفاتق، الراتق، صاحب الميز، صاحب النعلين، صاحب الهراوة، صـــاحب الوســـيلة، صـــاحب المنبر، صاحب الخير، صاحب المغنم، صاحب المعراج، صاحب اللواء المعقود، صاحب المقام المحمود، صاحب المدينة، صاحب الكرامات، صاحب المحشر، صاحب الكوثر، صـــاحب التاج، صاحب اللواء، الناجي، صاحب المخصوصات، صاحب قول لا إله إلا الله، صاحب القضيب، صاحب الكثيب، صاحب الفضيلة، صاحب العلامات الباهرات، صاحب القضيب الأصفر، صاحب العطايا، صاحب السرايا، محل الزوايا، صاحب الجلال، صاحب الكمال، صاحب السلطان، صاحب السيف، صاحب الشرح، صاحب الشفاعة الكبرى، صاحب السجود للربِّ المحمود، صاحب الدرجـــة العالية الرفيعة، صاحب الحوض الموردود الأكبر، صاحب الخطيم، صاحب الحجة القاطعة، صـــاحب الجهاد، صاحب التاج المحمود، صاحب الآيات، صاحب المعجزات، صاحب الحجة البالغة، الصـــابر، الصـــاحب، المانع، الدافع، الشارع، الشافع بالعموم، الخاص برتبة الخواص، درة الغواص، الشـــاكر، الشـــاهد، الشمس، الشهيد، القمر، المنير، اللاحق بالآيات، المستحق الثبات، يزيل البأس، المقـــدام، تحفـــة الأحباب، مساعد السابقين، عبد البر، عبد الباري، الستر المطلوب، سبيل التابعين،

=

ومن ذلك اسمه: النور، فهذا الاسم اسمٌ ذاتيٌّ.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس:١٠٨].

يعني: محمدًا ﷺ، (وكتابٌ مبين) يعني: القرآن.

ومن ذلك اسمه الحق قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس:١٠٨].

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام:٥] يعني: محمدًا ﷺ.

ومن ذلك اسمه ﷺ الرءوف(١).

واسمه ﷺ الرحيم(٢):

---

=

الممهِّد، المسدَّد، الرشاد، الرشيد، المشارك فِي سائر الأعمال، المبلغ سائر الآمال، محلُّ الطلاسم، مبطل الإقسام والعزائم، ضارب الأمثال، الوهَّاب، الفتَّاك، النسَّاك، المسَّاك، صاحب المناسك.

فهذه خمسمائة اسمٍ من أسمائه ﷺ، كل اسمٍ لــه دليلٌ من القرآن الشريف، أو من لفظه الشريف.

وانظر: محاسن الأخبار للأبشيهي (ص١٩٤)، وتذكرة المحبين للرصاع، وإبداء الخفا للحرالي، ثلاثتهم بتحقيقنا.

(١) الرأفة: ألطف الرحمة وأسبقها، التي بلطفها تقع العناية بالمرءوف به، فيكون محميًّا في الابتداء كما كون في ظاهر الرحمة مرحومًا في الانتهاء.

قال تعالى: ﴿واعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فالرحمة استدراكٌ، والرأفة افتتاحٌ، فهو ﷺ الرءوف بما هو حامٍ حفيظٍ على أمته مما توقعهم في مواقع الاختلاف والتشتت.

قــال ﷺ: «إني آخــذٌ بحجزكم وأنتم تقحمون في النار»، فهو بالمؤمنين رءوفٌ بما يبادر من تأسيس أمرهم لهم على التقوى والبراءة من الحول والقوة، حتى لا يقعوا مبادرة الرأفة فيما يحوجهم إلى الرحمة بعد المغفرة والعفو، كما قال: «هاتوا دواةً وكنفًا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده»، وكان ذلك من رأفــته ﷺ؛ لــيحمي بدايتهم بفضل رأفته بهم عمَّا يتداعى إليه أحوالهم، فأنفذ الله مراده فيما وقع من الافتراق في أمته لما لم تستفتحهم في ذلك رأفته، فلم يفتهم ولن تفوتهم إن شاء الله رحمة شفاعته؛ إذ لم يبادرهم بادرة رأفته، فهو ﷺ الرءوف تمامًا بكامل الرأفة لطفًا وابتداءً.

(٢) نيل الموافق للنائل ظاهرًا وباطنًا، فكل موافقٍ للحس رحمةٌ، وكل منافرٍ له نقمةٌ، وصيغة فعيل فيما يكون وصفًا للمتصف الذي يُقال فيه: لا يتعدى مبالغةً في اتصاف المتصف، وفيما يكون منتهيًا إلى ما
=

=

دون المتصف مبالغةً في نيله الذي يُقال فيه: إنه بمعنى فاعل، فهو ﷺ الرحيم بما يظهر من أثر رحمته أولاً في أهل بيته ﷺ، يقول: «سألتُ الله ألا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار فأعطاني»، ثم في ذوي رحمه قال ﷺ: «ما بال قومٌ يزعمون أن رحمي لا تنفع، أما والله إنها لتنفع في الدنيا والآخرة».

ثم في ذراري أصحابه وأنصاره الذين قضوا ما عليهم وبقي ما لهم فأقر الله عيونهم في ذراريهم.

قال ﷺ: «ذرية المؤمن معه في الجنَّة؛ ليقرَّ الله بذلك عينه».

كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الطور:٢١].

إلى ما ورد في ترتب منال الأمة في شفاعته كما قال ﷺ: «أوَّل من أشفع له يوم القيامة من أمَّتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتَّبعني، ثم اليمن ثم سائر العرب، ثم سائر الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل»، فبركة رحمته نائلةٌ في عقبى الأمور، كما أن عناية نائله في أوائل الأمور، ولكون الرأفة ابتداءً لام صيغتها أن تكون على فعول لما في الواو من العلوِّ المبنيِّ على الاستيلاء والأخذ بقوة حماية وحفيظة، ولما في الياء من الإنباء عن التعطُّف والتنـــزُّل لأمته أن يكون في الرحمة على صيغة فعيل؛ لأنها تنال بالتنـــزل من شأن غير الرحيم أن يتجافى عنه، كما قال ﷺ:

«شفاعتي للجبابرة من أمَّتي وشفاءً لأهل الكبائر من أمَّتي».

وبالجملة فهو عبد الله ورحمته من رحمة الله، يسابق في أمته الانتقام فيسبقه ويغالبه فيغلبه، ثم في جميع العالمين كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧]، بما هو تعالى وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، فهو ﷺ رحمةٌ للعالمين، كما أن كتابه في الرتبة العليا ذكرٌ له كما قال تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح : ٤].

ثم هو ذكرٌ لقومه كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ** ﴾ [الزخرف:٤٤]، ثم هو ذكرٌ للعالمين كما قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ [يوسف:١٠٤]، فهو من حيث الخلق رحمةً للعالمين، ومن حيث الأمر ذكرٌ للعالمين على تدريجٍ وترتيب، الأول فالأول في متسع الأمد إلى أبد الأبد.

كما قال ﷺ في ذرية الأنصار حيث قال ﷺ لما وقع واقعٌ في سعد بن معاذ فقال ﷺ:

«لا تؤذوا الأنصار، من أحبَّهم فقد أحبَّني، ومن بغضهم فقد بغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن قضى لهم حاجةً كنت في حاجته أسرع يوم القيامة».

فقال عمر: يا رسول الله، هذا لسعد خاصَّةً أم للأنصار عامةً؟ قال ﷺ: «للأنصار ولأعقاب أعقابهم أبد الأبد». فلم يزل ﷺ رحيمًا ورحمةً للعالمين إلى ما قال من أبد الأبد الذي لا يبقى معه باقيةٌ من أثر غضب، حيث تغلب رحمة الله غضبه، وتسبق رحمته غضبه، والله أرحم الراحمين.

قال الله تعالى في حقّه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ومن ذلك اسمه ﷺ الكريم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠] يعني: محمدًا ﷺ.

ومن ذلك اسمه العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

والخلق هو الوصف، فوصفه بالعظمة وهي لله وحده، ومن ذلك اسمه الشهيد واسمه الشاهد.

قال الله تعالى في حق نفسه حكايةً عن قول عيسى عليه السلام له تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧].

وقال في حق محمد ﷺ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قد ذكر القاضي عياض رضي الله عنه: إن الله تعالى سمَّى محمدًا باسمه الجبار، وباسمه الخبير، وباسمه الفتاح، وباسمه الشكور، وباسمه العليم، وباسمه العلاّم، وباسمه الأول، وباسمه الآخر، وباسمه القوي، وباسمه الولي، وباسمه العفو، وباسمه الهادي، وباسمه المؤمن، وباسمه المهيمن، وباسمه الدَّاعي، وباسمه العزيز إلى غير ذلك من الأسماء الإلهية المخصوصة بالحق.

وأقام دليل كل اسمٍ من ذلك من القرآن العزيز؛ حيث لا يدافعه مُدافع، ولا يجد مدخلاً إليه منازع، فاكتفى من ذلك بذكر هذا القدر؛ إذ لا خلاف عند المحققين أنه ﷺ متَّصف متحقق بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، بالغ في ذلك الكمال مبلغًا لا ينبغي لأحد من المخلوقين سواه ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد تحققتُ علمًا بما ذكرته: إنه ﷺ صاحب علو المكانة عند الله تعالى حشرنا الله في زمرته وجعلنا من أهل محبته.

## تنبيه

اعلم أن القرآن كلام الله غير مخلوقٍ، وكلامه سبحانه صفته؛ لأن الكلام صفة المتكلم،

وقالت عائشة رضي الله عنها: «**كان خلقه القرآن**»(١) تعني: النبي ﷺ فما أعرفها به! انظر كيف جعلت صفة الله تعالى خُلقًا لمحمد ﷺ لاطّلاعها منه على حقيقة ذلك.

وقال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠] وهو على الحقيقة قول الله تعالى.

فانظر إلى هذا التحقق العظيم بصفات الله؛ حيث أقامه مقامه في صفاته وأسمائه، ومقام الخليفة مقام المستخلف.

فتأمل هذه النبذة فإن تحتها سرًا شريفًا أطلعنا الله وإيَّاك على حقيقة ذلك والله الهادي.

* * *

## الفصل الثاني
## في ذكر الكمال الصوري الشاهد له ﷺ بتحقق علو المكانة عند الله تعالى

وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** ذاتي.

**القسم الثاني:** فعلي كالصلاة والصيام والصدقة وأمثالها.

**القسم الثالث:** قولي كالكلمة الطيبة والإهداء إلى غير ذلك، وها أنا أذكر لك جميع ذلك إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: في ذاته الشريفة ﷺ أمَّا ذاته الشريفة فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأطهرها وأنورها، وصورته أجمل الصور وأحلاها وأزكاها.

وفي الحديث: «**إنه كان ﷺ أملح من يوسف**»(٢).

---

(١) رواه وأحمد في المسند (٦/٩١) والطبراني في الأوسط (١/٣٠).

(٢) ذكره السادة الصوفية في كتبهم.

=

وورد في حديث عائشة رضي الله عنها:

**«إنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في ليلة مظلمة، فسقط من يدها إبرة إلى الأرض، فكشفت عن وجه رسول ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها»**(١).

وفي الخبر عن هند بن أبي هالة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخَّمًا يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، أطول من المربوع، واقصر من المُشذَّب عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه؛ إذ هو وفرة أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ من غير قرنٍ بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرتين له نور يعلوه ويحسبه مَن لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مُفلَّج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دميَّة في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنًا متماسكًا سواء البطن والصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف، سبط الراحة، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال تقلعًا، يخطو تكفؤًا، ويمشي هونًا، ذريع المشية إذا مشى كأنما يخطُّ من صببٍ، وإذا التفتَ التفتَ جميعًا، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلُّ نظره

=

قال الأبشيهي: وإن حُسن يوسف الصدِّيق شطرٌ من حُسنه، وجلاله غلب نور جماله، وكان ﷺ من شدة هيبتهِ لا يقدر أحدٌ من الصحابة يتلمَّح له، والأدلة قاطعةٌ على عدم تمكُّن جميع أصحابه من رؤية وجهه، وانظر رحمك الله تعالى لقول الصدِّيق: «عجيبٌ شيبُك» حيث ما عدَّ شعراته على الحقيقة من شدة هيبته، واختلاف أصحابه فِي ذَلِك.

ولله تعالى درُّ ابن الفارض فِي كلامه يقول:

بجمالِ حُجبته بجلالِ          هامَ واستعذبَ العذاب هناكَ

وإذا ميَّزت كلام الصحابة وتأمَّلته تجده أعظم ملوك الدنيا والآخرة والجنَّة وما فِيها، بيده وحوزه وتصرفه، وما أقطعه لا ينقص أبدًا: أي بالجملة صباحة وجهه وملاحته لا تُقاس، قرر بعض العلماء فِيها مؤلفًا، وقرر الجمال والبهاء والسناء والضياء، وما أعطاه الله تعالى من أنواع الكمالات، وخصَّه به.

(١) وهو من الأحاديث الكشفية التِي ذكرها السادة الصوفية في كتبهم، وقد رواه لبن عساكر في تاريخ دمشق (١/٢٦٦).

الملاحظة يسوق أصحابه، ويبدأ مَن لقيه بالسلام، متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بإشراقه، ويتكلّم بجوامع الكَلم فضلاً لا فضولاً فيه ولا تقصير، دمثًا ليس بالجافي ولا بالمهيمن، يعظّم النعمة، ولا يذم شيئًا لم يكن يذم ذواقًا ولا يمدحه، ولا يُقام لغضبه إذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلّها، وإذا تعجَّب قلبها، وإذا تحدَّث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض، وإذا فرحَ غضَّ طرفه، جلُّ ضحكه التبسُّم، ويفتر عن مثل حب الغمام»(١).

هـذا حديثٌ جامع في صفة حليته واعتدالها، وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي أجمع الحكماء من أهل الفراسة أن كل حلية من هذه المذكورات دالة على معنى الكمال، فهو أكمل خلق الله صورةً وأعدلهم نشأةً؛ لأنه ﷺ الموجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وجمالاً وبهاءً وسناءً؛ ولهذا كان كل مَن قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال أكمل من غيره بقدر ما أوجد الله فيه من هذه الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورةً ومعنى.

## تنبيه

إنما أوردت لك ذكر هذه الخلقة الشريفة؛ لتصَوِّرها بين عينيك، وتلحَظها في كل ساعةٍ حتى تصير ممثلة لك؛ لتكون حينئذٍ في درجة المشاهدين لَه ﷺ فتفوز بالسعادة الكبرى، وتلحق بالصحابة رضوان الله عليهم.

فإن لم تستطع ذلك على الدوام فلا أقل من أن تستحضر هذه الصورة الشريفة بما له من الكمال عند الصلاة عليه ﷺ.

**القسم الثاني**: أمَّا أفعاله ﷺ الذكية وأحواله الرضيَّة، فقد امتلأت الصحف بها، وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها، وناهيك من رجلٍ كل العالم في ميزانه، فإنه الذي أسَّس طُرق الهداية، وأخرج الخلق من الغواية، وسنَّ الحلال والحرام، والصلاة والصيام وكل خيرٍ يوجد بين الأنام.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٥٦/٢٢)، وابن حبان في الثقات (١٤٦/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٥/٢).

ورد في الخبر: «مَن سنَّ سنَّةً حسنة كان له أجرها وأجرُ مَن عَمل بها إلى يوم القيامة»(١).

فله ﷺ أجر جميع الخلق، بل الكل في ميزانه، بل الكل قطرة من بحره؛ لأنه الأصل وهم الفرع.

ويكفي هذا القدر من ذكر جميل أفعاله ومليح أقواله وأحواله ﷺ التي هي أظهر من الشمس، ويكفيك ما وردَ من ورم أقدامه لطول قيامه ﷺ على أنه مغفورٌ له.

ومن شدة الحجر على بطنه من شدة الجوع، وقد أُوتي مفاتيح خزائن الأرض(٢).

---

(١) رواه البخاري (١/٤٣١)، ومسلم (٢/٧٠٥).

(٢) والخزائن جمع خزانة، وهي محل العطيات للملوك، ومكان مدخرهم، وهو تعالى الملك.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] فـ (إن) نافية، و (شيء) نكرة يفيد العموم لوقوعه في سياق النفي، فكل ما هو موجود في الخارج كان قبل مخزونًا في خزانة غيبه تعالى، ولم يزل مخزونًا، ولظلمة الخزائن كانت الأشياء محجوبة عن أنفسها، فإذا رش عليها نور الوجود الخارجي انكشفت وظهرت، فالأشياء المخزونة موجودة في حال عدمها، والفواضل جمع فاضلة وهي النعمة والعطية، والمستودع: محل الوديعة، ويُطلق عليها: أمانة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان﴾ [الأحزاب:٧٢]، والأمين هو السالم من المكر والخديعة، ولكل سلطان أمين على ما عنده مخزونًا ومخبأ، فهو ﷺ أمين الله على خزائنه ومحل نعمه وفيوضاته؛ لما ورد أنه ﷺ خُصَّ بست لم تكن لنبيٍّ قبله، إحداها: أنه أُعطى مفاتيح الخزائن.

قال حضرة الشيخ: هي خزائن أجناس العالم؛ ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم، وبذلك تكون السيادة له ﷺ لافتقار الخلق إليه.

وقد ذُكر في الفتوحات: أن كل ما ظهر من رزقٍ في العالم فإن الاسم الإلهي لا يعطيه إلا عن أمر محمد ﷺ، الذي بيده المفاتيح.

كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو تعالى، وهذا الإعطاء يتوقف على وصفي الحفظ والعلم، من أجل ذلك قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] حين سأل أن يكون على خزائن الأرض، وهو ﷺ الحفيظ العليم فلا يعطي إلا بقدرٍ مخصوصٍ لحفظه، ولا ينقص شيئًا لعلمه بالطالب والمطلوب، وسيأتي مزيد على ذلك.

=

وقال له جبريل: أُمرت أن أجعل لك جبال الأرض ذهبًا فأبى ﷺ واختار الفقر نصيبًا، وأُوتي بمال البحرين ذهبًا وقيل له: إنه كان يُغرق فيه الرمح فصبَّه بين يديه وفرَّقه جميعه، ولم يحمل منه إلى بيته شيئًا ولبيته نيف من شهرين لا يوقد فيه نار لطعامٍ، بل كان على

=

ولما كان ﷺ بحقيقته العلمية الكونية وبقلبه الطاهر الظاهر الشريف جامعًا لكل حقيقة كونية، كما أن حقيقته أيضًا جامعة لكل حقيقة إلهية كما تقدَّم، كانت كل الفيوضات الإلهية الممدة للكل من الأسماء والحقائق الكونية نازلة فيه أولاً، ومستودعة عنده على طريق الأمانة؛ إذ لكل فيضٍ صاحب يأخذه من هذه الخزائن بواسطته ﷺ، وإن كان له وجه خاص إلى الحق تعالى يستمد به منه؛ إذ الكل طالب مفتقر من سيده وربه، ونـــزولها عليه ﷺ ووديعتها عنده يكون بالباطن والظاهر كما أشرنا إليه، أما في الباطن فباعتبار تعينه الأول وكون كل شيء مفصلاً منه، وأما بالظاهر فباعتبار مظهره الظاهر فيه تعالى، وهو قلبه الشريف، وكون الظاهر مظهرًا للباطن، فهو الأمين ظاهرًا وباطنًا، سواء كان ظهوره حسيًّا أو غيبيًّا ككونه القلم الأعلى والروح الكلي، فهو الأمين على خزائن الفواضل في كل حالٍ؛ لنـــزولها إليه جملة؛ إذ الإجمال قبل التفصيل.

فإن قلت: قبل ظهور جسده الشريف وبعد انتقاله من دارٍ إلى دارٍ، من يكون الأمين؟

قلت: أما من سبقه حسًّا فهو مظهر من مظاهر حقيقته، وكذا من كان بعده ممن هو أهل للجمعية، فهو أيضًا مظهر لها، والظاهر عين المظهر من وجهٍ، فما أمين إلا هو.

فإن قلت: هذا تناسخ وهو باطلٌ عند أهل الحق.

قلت: نعم، لكن في غير هذا المظهر الكلي، وقد أشار إليه الشيخ عبد القادر الجيلي من قوله: كنت مع آدم وإبراهيم وهكذا.

فإن قلت: وهل صرَّح بالتناسخ غيرك؟

قلت: الكتب في هذا الفن السند، وإنما كان ﷺ هو محل الفيوضات الإلهية؛ لأنه هو الذي وسع الحق بقلبه، كما قال تعالى في الحديث القدسى: «ما وسعني أرضي ولا سمائي إنما وسعني قلب عبدي المؤمن»، فكان القلب يسع الفيوضات ضرورة، ولا تظن أن القلب هو هذا الصنوبري، بل هو اللطيفة التي تكون مظهرًا لكل الأسماء.

ومن المعلوم أن الفيوضات من الأسماء، وهو ﷺ باسمه جامع لها، كما قال ﷺ: أمين الله، فعبر بالاسم الجامع، ومتى تحققت أنه أصل الكلي والكل مندرجٌ فيه علمت أنه مستودعٌ فيه كل حقيقةٍ، وما لها من الفيض؛ إذ الذات البحت لا تفعل إلا بأسمائها ونسبها؛ لأنها غنية عن العالمين، ولو فعلت بالذات لزم ما لزم، والله أعلم وهو الموفق.

الأسودين التمر والماء، وصفاته الظاهرة أعلى من أن تُخفى على أحد، فلنكتفِ بهذا القدر والله المستعان.

**القسم الثالث**: في أقواله المفصحة عن مليح أحواله ﷺ، وهذا القسم أيضًا لا يحتاج إلى تطويل إذ جميع كتب الإسلام مشحونة من تلك الأقوال الشريفة، وناهيك بعظم مكان قوله حيث قال الله تعالى في القرآن عن القرآن الذي هو كلام الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٩]، وذلك لأنه ﷺ الناطق به عندهم، وقد صحَّ أن كلامه من كلام ربه.

وقال الله عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣، ٤] فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه ﷺ تجد فيها مجامع المحاسن من كل جهةٍ، وبكلِّ حقيقةٍ؛ إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله، فلم يدع خيرًا إلا وقد هدى الأنام إليه، ولا ترك فضيلةً إلا وقد نبَّه عليها.

ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين؛ لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة وأوضح بنوره كل طريقة، فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه ﷺ.

## الباب الرابع
## في تمييز قابليته ﷺ من قابلية كل موجود سواه وبيان نسبة قطرات الوجود من بحر عُلاه

اعلم أيَّدنا الله وإيَّاك أن الفيض الإلهي إنما يكون على قدر القوابل، أما ترى الشمس تظهر في المرآة بشعاعها حتى لا يكاد الشخص أن يستطيع النظر إلى المرآة، وتظهر في بقية الجمادات بغير هذا المظهر، وكذلك إذا نظرت في المرآة المعتدلة الهيئة؛ ظهر وجهك فيها على ما هو عليه، وإذا نظرت في مرآةٍ مستطيلة؛ ظهر وجهك فيها طويلاً، وفي العريضة عريضًا، وفي الصغيرة صغيرًا، وفي الكبيرةِ كبيرًا.

فعلم بذلك أن الفيض على قدر القابلية؛ لأن الله تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، وقد ذكرنا فيما مضى تفصيل القابلية، فظهور الحق تعالى في المخلوقات على قدر قوابلهم؛ بل ظهوره في أسمائه وصفاته على حسب ما تقتضيه قوابلها؛ إذ ليس ظهوره

في اسمه المنعم كظهوره في اسمه المنتقم، وليس ظهوره في النعمة كظهوره في النقمة، فالظاهر واحد، والظهور مختلف لاختلاف المظاهر.

وقد علمت بما مضى أن ظهور الحق في المظاهر بقدر القوابل، وأن قوابل الأشياء تتعلق بمحاتدها التي ظهرت منها، فالنعمة مخلوقة والنقمة مخلوقة فهما مظهران مخلوقان، فمحتد النعمة اسم، ومحتد النقمة اسم المنتقم، والمنعم والمتنقم اسمان إلهيان، فهما مظهران قديمان؛ لأن صفات الله قائمة بذاته.

وقد شرحنا لك فيما سبق أن كل شيء في العالم إنما هو أثر أسمائه وصفاته، فكل فرد من أفراد العالم له محتد من أسماء الحق تعالى وصفاته، وقد عرفناك في أوائل الكتاب أن الأنبياء صلوات الله عليهم خُلقوا من أسمائه الذاتية فهي محاتدهم، والأولياء خُلقوا من أسمائه الصفاتية فهي محاتدهم، وبقية الموجودات مخلوقة من أسمائه الفعلية، فهي محاتدهم ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته فمحتده الذات.

ولهذا كان ظهور الحق تعالى عليه بالذات ألا تراه انفرد دون غيره بجميع الكمالات؛ لأن الصفات ترجع إلى الذات ولهذا نسخ دينه سائر الأديان؛ لأن الصفات لا تشهد بعد بروز الذات؛ بل يبقى علمها ولأجل ذلك بقيت نبوة الأنبياء على حالها، وما انتسخ إلا أديانهم، فنسبة القابلية المحمَّدية كنسبة البحر، ونسبة قوابل الأنبياء والأولياء رضوان الله عليهم أجمعين كالجداول والأنهار، ونسبة بقية العالم كالقطرات من ذلك البحر؛ وسبب ذلك أن محمدًا ﷺ مجموع العالم؛ لأن روحه العقل الأول كما شرحناه لك فيما مضى.

وقد علمت أن العالم كله مخلوقٌ منه ﷺ، فقابليته وحده بقوابل سائر الموجودات، فهو المستفيض الأول والمفيض الثاني؛ لأن الفيض الأقدس الذاتي[1] متوجِّه إليه بالتوجُّه الأول

---

(١) قال الشيخ العطار في شرح الصلاة الكبرى: (الفيض الأقدس الذاتي): أي التجلِّي الأقدس عن شوائب الكثرة الذي لم يكن فيه تميز حكم اسم على آخر، ولا تفصل ولا غلبة، ولا يحكم فيه على الذات حاكم بطلبه منها، وهذا معنى كونه ذاتيًّا، فإن الحق تعالى لما تجلَّى لذاته بذاته بواسطة الحب الذاتي كان الحاصل لهذا التجلِّي هو الحقيقة المحمدية، فليس وراء حقيقته إلا الذات الأقدس، وكانت حقيقته جملية كلية، باطن كل اسمٍ إلهيٍّ، وحقيقة كونية من غير تميز، وهذا معنى التجلِّي، بل تجلى فيه لذاته بذاته كما قررنا، ولم يكن قبله تجلٍّ أصلاً، لكن لا بدَّ من اعتبار شيء مع الذات المعبر عنه =

=

بالشئون الذاتية؛ لأن الذات البحت منـــزَّهةٌ عن كل شأنٍ واعتبارٍ، فلا تتحلّى لأحدٍ، ومنه يُعلم أن الكامل مهما بلغ لم يصل إلى رتبة واجب الوجود تعالى؛ لتقيده وإطلاق الحق سبحانه، والحمد لله على ذلك.

فلسبق التجلّي بالحقيقة المحمدية على كل حقيقةٍ، وكون المتجلّي فيها عين المتجلّى له من غير تميز حقيقي ولا حكم، كان ﷺ بهذا الاعتبار هو الفيض الأقدس الذاتي الذي تعينت به الأعيان الثابتة الإمكانية، أعني حقائق الأشياء، وهي الصور العلمية التي ما شمت رائحة الوجود، بل هي مخزونة في علمه تعالى، ولو خرجت إلى الظاهر لزم حدوثها وهي قديمة، بل الظاهر آثارها، وذلك أن الحق تعالى بمقتضى أسمائه اقتضى أن يكون لها صور علمية، ففاضت عن ذاته من وراء التجلّي المحمدي الحامل لكل تجلٍّ من غير حكم عليه تعالى بغلبة اسم، وتلك الصور هي حقائق الأشياء وماهياتها كما قدَّمنا، والتعين هو التميز، وتعين هذه الأعيان كان بذواتها وإلا لتسلسل، واستعداداتها: أي كان ذلك من الفيض الأقدس وبه، فإن هذه الأكوان المختلفة ذاتًا وصفةً اختلافًا لا يُحصى كان لها ذلك من استعداداتها، فمن استعدَّ لشيءٍ أعطيه، فالاختلاف بالذات والصفة مترتب على الاستعداد، فمن استعدَّ لحقيقة إنسانية مسلمة أُعطي ذلك، وعلى هذا القياس كما سيذكر.

فالحاصل أن الماهيات واستعداداتها كانت بالفيض الأقدس الذاتي: أي بالتجلّي الذاتي الذي لم يغلب فيه حكم اسم اسمًا لجمليته، و لم يكن بطلب اسم خاص من الأسماء، وذلك التجلّي كان بالحقيقة المحمدية، فكل حقيقة كونية من حقيقته الكلية كما أن كل حقيقة إلهية كذلك، وتقدَّم هذا مرارًا.

وهذا الفيض المذكور عبَّر عنه الحكماء بالجعل البسيط الذي جعل الماهيات مجعولة: أي كانت عن فاعل لأسماء ليست واجبة الوجود، فلا بدَّ لها من فاعلٍ، وإنما كان هذا الجعل بسيطًا لأنه لم يعتبر فيه سوى صدور هذه الأعيان عنه، لا أنه جعلها موجودة في الخارج كما هو شأن الجعل المركب حيث كان بعد هذا الجعل، فإن جعل الماهية سابق على جعلها موجودة، فمن هذا عُلم أن الخلاف في كون الماهيات مجعولة أو غير مجعولة راجع إلى اللفظ، فهي مجعولة بالجعل البسيط غير مجعولة بالجعل المركب، وهذه الأعيان مع استعداداتها صدرت عن الواجب تعالى بمحض الجود لأسماء صور أسمائه تعالى، فأسماؤه اقتضتها، وأسماؤه عين ذاته، فكان ما ذكر من مقتضى الذات في الجملة، فلم يكن للواجب تعالى اختيار فيها، وإذا كان الأمر كما ذكر فلا يتصور سؤال حقيقة من الحقائق أن تكون على خلاف ما هي عليه؛ لعدم دخل الاختيار كما ذكرنا، مثلاً لو قال الكافر: لِمَ أوجدتني كافرًا، ولَمْ توجدني مؤمنًا؟ فيقول تعالى: استعدادك سأل ذلك، فيقول: أنت جعلت هذا الاستعداد لي، فيقول

=

=

تعالى: كان ذلك من مقتضى ذاتي بواسطة أسمائي، والأمور الكائنة بمقتضى الذات لا يسأل عنها، فإنه لا يُقال: لما كان الإنسان متكلمًا حتى يصدر عنه الذّكر مثلاً، فلله الحجة البالغة.

وهذا العلم الحاصل من صور الأسماء ليس تابعًا للمعلوم؛ لأنه كان من التجلّي الذاتي، وبالفيض الأقدس عن حكم حاكم، وسُمِّي علمًا فعليًّا كاختراع القوة العاقلة صورة لم يكن لها نظير، فهو علم فعلي أولي، والعلم الفعلي المذكور يسميه الحكماء بالعناية الأزلية التي وجد العالم بها على اعتبار أن العلم عين الذات: أي الذات إذا تعلقت بالمعلومات تُسمَّى علمًا، لا أن الصفة نفس الذات كما يُتوهم، وقس الباقي من الصفات على ذلك، وقد أُشير إلى ما ذكرناه من أن الأعيان مع استعداداتها كانت عن التجلّي الذاتي بقوله ﷺ: «من وجد خيرًا فليحمد الله»، حيث أن ذلك كان بفضله تعالى من غير دخل لشيءٍ من الأشياء في ذلك، والله أعلم.

وفي هذه الجملة من الاصطلاحات الفيض الأقدس.

(والفيض المقدس الصفاتي): أي التجلّي الصفاتي المترتب على الطلب والحكم والتميز والكثرة النسبية، فإن كثرة الأسماء عبارة عن نسب الذات الأقدس من غير كثرة حقيقية، كما يقوله المتكلمون من زيادة الصفات على الذات مع تحققها معها.

فمن أجل ذلك وصف التجلّي بقوله: (المقدس): أي عن ذلك التعدد الحقيقي، وإنما هذا التجلّي الصفاتي على ما ذكر من الطلب والحكم والتميز والكثرة؛ لأن التجلّي فيه تابع لطلب العين الثابتة ما استعدَّت له، مثلاً طلبت العين بالاستعداد لأن تكون عالمة فيتجلّى لها الحق تعالى بصورة العلم، وهو الاسم (العليم)، فتكون مظهره في الخارج، وهكذا الأعيان والماهيات التي لا تُحصى عدًّا، يكون التجلّي من الحق تعالى لها بالاسم الطالبة هي له، فيلزم من ذلك المذكور الكثرة والتميز والحكم، حيث أن العين حكمت على الحق بأن يتجلّى لها بالصفة المطلوبة دون غيرها، فليس تعالى مطلقًا بهذا التجلّي بخلاف التجلّي السابق، والعلم هنا تابعٌ للمعلوم؛ لأن العين تعطي الحق ما تطلبه منه على حسب استعدادها، فيعلم فيتجلّى لها بما أعطته من العلم.

قال تعالى: (حتى تعلم): أي تأخذ العلم من العين الثابتة، وبعد ذلك تتجلّى بالمطلوب.

فإن قلت: وما هذه العبارة التي تقتضي حدوث علمه تعالى، وسبق الجهل قبل الإعطاء، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا مع ما فيه من الاحتياج؟

قلت: لا يقتضي ذلك شيئًا مما ذكرت، بل يقتضي تقدم المعلوم على العلم تقدمًا ذاتيًّا لا زمانيًّا، فلو =

ومنه يتوجه إلى بقية المخلوقات بقدر قوابلهم، فهو كل الوجود وله كل شيء.

وما أحسن قول الإمام عبد الله اليافعي ﷺ في مدحه ﷺ حيث يقول:

يَا واحدَ الدهرِ يَا عينَ الوجودِ وَيَا     غَـوثَ الأنَـامِ وهَادي كُلِّ حَيرانِ

ولما كانت قابليته ﷺ كليَّة، وقابلية سائر الأكوان من المرسلين والنبيِّين والملائكة المقرَّبين وسائر الأولياء الصدِّيقين وغيرهم من المؤمنين الصالحين وسائر الأكوان جزئية كانت قاصرة بالطبع عن درك شأوه المنيع، عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع، ولما عَلمت ذلك الأنبياء والأولياء؛ وضعت الرؤوس خضوعًا على باب عزِّه العالي، وحطت رقابها على أرض المذلة لمجده الشامخ السامي، وذلك معنى أخذ الله تعالى على الأنبياء العهد لتؤمننَّ به ولتنصرنه.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١].

ثم إن جميع الأولياء والمقرَّبين مع علو شأنهم إنما يترقون ويعرجون بالاستمساك بحبل عروته الوثقى.

ولهذا قال الجنيد ﷺ(١): انسدَّ كل بابٍ إلى الله تعالى إلا باب محمد ﷺ فلا طريق إلى

---

=

كان زمانيًا لزم ما ذكرت، نعم الاحتياج باقٍ، والتخلص منه بأن يُقال أن هذه الأعيان عينه تعالى من وجهٍ، فلم يفتقر إلى غيره، وهنا سر إن كنت عارفًا فلا يخفى عليك.

وانظر: كشف الأسرار (ص١٨٥)، بتحقيقنا.

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو القاسم بن محمد الجنيد سيد الطائفة رضي الله عنهم، **قال عـنه الشيخ الأكبر** ﷺ: هو سيِّد الطائفة، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية، تفقَّه على أبي ثور، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنةً، لم تزل أعناق الفريقين له خاضعةً، وعلى تبجيله مجتمعةً.

أخـذ التصوف عن خاله السري السقطي والحارث المحاسبي رضي الله عنهما، وتحدَّث عن ذلك قـائلا: قال لي شيخي السري: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ فقلت: المحاسبي. قال: نعم، خذ من
=

=

عــلمه وأدبــه، ودعْ عنك تشقيقه للكلام وردَّه على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديثٍ صوفيًّا، ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديثٍ اهـــ.

قال الشيخ الأكبر ﷺ: يريد أنه نتيجةٌ عن العمل عليهما، وهما الشاهدان العدلان.

وـــله ﷺ في طريق القوم أقوالٌ كثيرةٌ، ومنها: علمنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث و لم يتفقه لا يُقتدى به.

وقال: رضوان الله على أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرةً.

ذاك امرؤ أُعطي علمًا لدنيًّا، والعلم اللَّدنِّي: هو العلم الذي خُصَّ به الخضر ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥].

وقال: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد.

وقال: لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ولكنه من الحق بدأ وإلى الحق يعود.

وقال: لو علمت علمًا تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم لسعيت إليه وإلى أهله.

وقال: المعرفة هي تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك.

وقال: آخر مقام العارف الحرية.

وقال: من عرف الله كلَّ لسانه.

وقال: العارف من نطق الحق عن سرِّه وهو ساكتٌ.

وقال: المعرفة أن تعلم أن ما تصور في قلبك فالله بخلافه، فيا لها من حيرة! لا له حظٌّ من أحدٍ ولا لأحدٍ منه حظٌّ، وإنما وجودٌ يتردد بيِّنٌ في العدم، لا تتهيأ العبارة عنه؛ لأن المَخلوق مسبوقٌ، والمسبوق غير مُحيطٍ بالسابق.

وقال: المعرفة وجود جهلك مع قيام علمه.

فقيل له: زدنا أيضًا، فقال: هو العارف وهو المعروف.

وقال: التصديق بعلمنا ولايةٌ اهـــ.

وانـــتقل ﷺ إلى الحـــياة البرزخية في آخر ساعةٍ من الجمعة سنة سبعٍ وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بالشونيزية عند خاله سري السقطي نفعنا الله به في الدارين آمين. وانظر: كتابنا الجنيد سيد الطائفتين.

الله تعالى إلا من بابه ﷺ، يعني: ليس لأحد إلا أن يمشي خلقه، ويكون تابعه ظاهرًا وباطنًا حتى يصل إلى الله تعالى وإلا فلا.

ولولا ذلك ما ادَّعى الأولياء ما ادَّعته الأنبياء من قبل، فإن الأولياء من أمة محمد ﷺ نالوا ما نالته الأنبياء في الباطن من الله تعالى، و لم ينالوا النبوة لانقطاعها بمحمد ﷺ.

والحكمة في ذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما نالوا ما نالوا من النبوة وشرعوا ما شرعوه من الأديان بإذن الله تعالى؛ لعلمه سبحانه بأن أديانهم تُنسخ بظهور الدين المحمَّدي؛ لأنه ﷺ بعدهم ظُهورًا، والأولياء ظَهروا بعد محمد ﷺ، فلو حصلت النبوَّة لأحدٍ منهم؛ لكان كالناسخ للدين المحمَّدي وذلك محال فلا سبيل إليه؛ لأن الجزء لا يظهر على الكل بل الظهور للكل على الجزء، فدين محمد ﷺ كلي؛ ولهذا كان مبعوثًا إلى كافة الخلائق بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لأنهم إنما بعثهم الله تعالى إلى أقوامٍ مخصوصة؛ لأن دينهم جزئي ودين كل منوط بمحتده كلي بكلي وجزئي بجزئي، فقوة محمد ﷺ بقوة العالم كله العرش والكرسي واللوح والقلم والأملاك والأفلاك والسموات والنجوم والكواكب السيَّارة والشمس والقمر والريح والماء والتراب والشجر والحجر والمعدن والحيوان وجميع الإنس والجان، ومجموع ما خلق الله تعالى وما هو خالقٌ، ويزيد على ذلك كله بالمعيَّة الكبرى التي خُصَّ بها وذلك هو المعبَّر عنه بقاب قوسين ﷺ وليس لسواه من ذلك كله إلا ما وسعته قابليته فافهم، وألحق نفسك به لحوق القطرة بالبحر؛ لتفوز بالسعادة الكبرى والمكانة الزلفى.

وفي هذه النكتة سرٌّ جليل وأمرٌ نبيل لو قدَّر الله لك فهمه.

وإلى هذا اللحوق بالبحر المحمَّدي أشار سيدي أبو الغيث بن جميل رضي الله عنه بقوله: خُضنا بحرًا وقفت الأنبياء على ساحله؛ لأن اللحوق الحقيقي بالشخص لا يكون إلا لمن بعده صورةً ومعنى، فالأولياء الكمَّل من أمة محمد ﷺ لاحقون به صورةً ومعنى فهم خائضون بحر اللحوق المحمَّدي بخلاف الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين؛ لأنهم إنما لحقوا بمحمد ﷺ حكمًا فهم لاحقون من حيث المعنى لا متبوعين لا تابعين لغيرهم على أنهم في الحكم تابعون له ﷺ، والأولياء تابعون له لا متبوعون فالأولياء تابعون له ﷺ صورةً ومعنى، عينًا وحكمًا فمن وُفِّق له أن يلحق قطرته ببحر الحقيقة المحمَّدية فاز بالسعادة

الأبدية الكبرى، وحق له أن يقول ما قاله الشيخ عبد القادر ﷺ: ما رفع النبي ﷺ إلا وضعت قدمي موضع قدمه إلا قدم النبوة العظمى والمكانة الزلفى والوسيلة الكبرى فإنه مخصوصٌ بها ﷺ فاجتهد تلحق به وفَّقنا الله وإيَّاك لذلك .

# الباب الخامس

## في تسميته بالحبيب وبيان الحركة الحبيَّة التي هي محتد اسمه ليعرفه البعيد والقريب ﷺ(١)

---

(١) قال الشيخ الحرالي: هذا الاسم أخصّ الأسماء بمحمد ﷺ، وهو أعظمها، كما قال ﷺ: «آدم صفوةُ الله، وإبراهيم خليلُ الله، وموسى كليمُ الله، وعيسى روحُ الله، وأنا حبيبُ الله»، وبتحقيق وكمال هذا الاسم له أجرى عليه اسمه في كتابه، وأنبأ عنه بما أنبأ في قوله: «كنت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه» الحديث، فمحى بأجزاء اسمه العظيم عليه كل اسمٍ بسواه، ولم يبقَ إلا الله اسمًا، كما أنه ليس إلا الله عظمةً وإطلاقًا ودوامًا، وكل ما خلا الله باطلٌ، فنتحقق هذا الاسم إلى كمال أجزاء الاسم العظيم عليه حق الحق وبطل الباطل، وكان الله ولا شيء معه، وكشف حجاب النور فأحرقت سبحات وجهه بما انتهى إليه بصره من خلقه، وظهرت من آثار ذلك في الكتاب والسنة تفاضيل لا يسمعها كملاً إلا من أحبَّه الله، فكان حبيب الله بما هو حبيب حبيب الله، كما قال ﷺ: «واشوقاه إلى أحبائي»، وهو إخوانه وآله وأئمة أمته الذي قال ﷺ: «يُدعى كل قومٍ بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم وإمام زمانهم نيابًا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، وبذلك كان من أحبَّ الله فقد أحبَّه، ومن أحبَّه فقد أحبَّ الله، وكان في آخر اسمه العظيم عين كمال هذه الأسماء التسع والنسبة مائةٌ، كما هو فيما اختاره هو ﷺ من أسماء الله، فقد عدَّد المعددون أسماءً، منها تسعة وتسعين جعلها اسمًا للاسم العظيم (الله)، وأنبأ مع ذلك أن أسماء الله لا تُحصى، كما قال ﷺ: «لا أحصي أسماءك ولا ثناء عليك»، كذلك أسماء حبيبه لا تُحصى، وقد ذكر النقلة منها عددًا كبيرًا بالعربية وبغيرها من الألسنة، فأجرى الله في هذا الإنظام منها هذا العدد التسع والتسعين، فكان الكمال في أسماء الله وأسماء رسوله مائةً بما كان اسم الله العظيم آتيًا على كل اسمٍ من أسمائه وأسماء حبيبه، وأدرج آله في اسمه العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥،٥٦]، فأفرد إضافة الحزب لله، فأتى على اسم الرسالة والإيمان، وبقي الله وحده، وذلك إنما تحقق بما أحبَّ الله محمدًا وآله، فأفناهم عنه، وكان وجدهم وبقاؤهم به؛ لاستوائه وإلى ما أظهرته آيات ذلك من نحو قوله تعالى في إجراء اسم الإضمار في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا*لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨،٩]، بإفراد اسم الإضمار اسمًا واحدًا يتفضل إلى ما يجريه عليه تعالى وعلى حبيبه الذي أسلم وجهه له، فلم يكن له وجدٌ إلا به، فإلى هذه =

اعلم أيّدنا الله وإيَّاك، ولا أخلانا من وجوده ولا أخلاك، أنه ورد في الحديث:

---

=

الآيات وما يشير إليه وما سارت معانيها من السنن أشارت الصوفية في غاياها، وطمحت إليه في منتهياها، والله يختصُّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هذا والحمد لله ما أجرى الله سبحانه بشرح أسماء سيدنا محمد حبيب الله مما أتى به الإبداء على خفائه، والإفصاح بإجابة ما يتحصَّل به بعناية الله لمن يشاء من عباده من معرفة النبيِّ ﷺ حبيب الله ما يكون معرفه لله، فمعرفة الله قبل معرفة محمد حبيبه معرفة إيمان، ومعرفة الله الذي يعرفها بمعرفة حبيبه معرفة إيمانٍ ليس وراءها مرمًى ولا دونها منتهًى، وأهلها هم أهل رؤية الله في الدنيا والآخرة لا يتزايد بدارٍ ولا يتناقص بدار، وهم أهل الجادة التي نبَّه عليٌّ عليه السلام عليهم وعلى منهجهم في قوله: «اليمين والشمال مضلَّةٌ والوسطى الجادة منهجٌ عليه أم الكتاب والسنَّة وآثار النبوة»، وكان القرآن يمنةً، سلك على آثار ظاهر المؤمنين وأمِّ الكتاب، فأمَّا ما أقيم عليه المرادون والسنة التي هم عليها هي السنة العليّة الخاصَّة بمحمد وآله في غيب معرفتهم عن شهود ظاهر السنن المشروعة للسالكين في سعة الاختلاف التي سُئل عنها ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن سنتك؟ فأنبأه ﷺ بما لا يقدر على أن يتلقنه إلا أخص الخاصة من أمته الذين هم الأئمة، فقال: «المعرفةُ رأس مالي، والعقلُ أصل ديني، والحبُّ أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنسي، والثقة كَنـــزي، والحزن رفيقي، والعلم سراجي، والصبر زادي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة، وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمَّتي، وشوقي إلى ربِّي، فمن أقامه الله على جادة هذه السنَّة وكشف عن جبته الغطاء وعن قلبه الحجاب وأماته عن محيا الخلق وأحياه بالله فكان بالله لا بآنيته ولا بما سواه كان من أهل رؤية الله دوامًا في الدنيا والآخرة، وهو من أحبَّاء الله وأحبَّاء رسوله وإخوان نبيِّه، الذين هم فرطهم، وكان مشتاقًا إليهم، وإذًا أن يراهم رؤية ظاهر؛ ليقع ودُّه أن يراهم رؤية ظاهر رؤية لهم»، بما هو ﷺ مقيم التفاضيل على حظوظها حكمة كما هو مُوَفِّي الخفاية حظوظها إقامةً، وهؤلاء هم من ذاته دوامًا، ومن سواهم لباسه الذي هو مُطهّرهم في مقتضى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وهم ومن بهم أهل الفرقة الناجية دوامًا على ما كان ابتداءً كما قال: «ما أنا عليه في إحاطته علمًا وإقامةً، وأصحابي في الانقياد له»، فإنما هو عالمٌ ناطقٌ أو مستمعٌ واعٍ ولا خير في العيش لمن سواهم؛ لأنه ينقص بما يريد وينغبن بما يغمر بحسب ما بقي على جبينه من الغطاء وعلى قلبه من الحجاب، فإذا ارتفع غطاء الحسِّ وحجاب القلب كان العبد نورًا من نور ربِّه، فإذا رفع عنه حجاب ذاته الذي هو نورٌ لم يبق إلا الله تبارك اسمه.

وقال الرصاع: من فضائل اسم الحبيب ﷺ أن العالم العلويَّ طرز الله به محاسنه، وزيّن زواياه وأركانه، بأن كتب فيه اسمه، وسأذكر من ذلك ما تمتلئ بحبه القلوب، ويقرّب مُحِبَّهُ من علاّم الغيوب.

وانظر: إبداء الخفا، وتذكرة المحبين للرصاع (بتحقيقنا).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم.

فقال بعضهم: عجبًا إن الله اتَّخذ منَ خلقه خليلاً.

وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلَّمه الله تكليمًا.

وقال آخر: «فعيسى كلمة الله وروحه».

وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلَّم وقال ﷺ: «سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى كلَّم الله تكليما وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، وأنا حبيبُ الله ولا فخر، وأنا حاملُ لواء الحمدِ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّلُ شافع وأوّل مشفّع ولا فخر، وأنا أوّلُ مَن يحرِّك حلقَ الجنة فينفتح لي فندخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين ولا فخر»(١).

اعلم أن هذا حديثٌ جامعٌ مُصرَّح بكمالِه وأفضليته على كُل الكملاء والفضلاء صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين، وقد مضى بيان بعض علو مكانته، وسأنبئك عن سرِّ تخصيصه ﷺ باسم الحبيب؛ لتعلم أن المقام الحبِّي أعلى المقامات الكماليَّة.

وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال حاكيًا عن الله تعالى:

**«كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرَف فخلقت خلقًا فتعرَّفت إليهم فبي عرفوني»(٢).**

---

(١) تقدم تخريجه بنحوه.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/١٧٣).

**فائدة عظيمة:** فإن الذات الأقدس منطوٍ فيه نفائس جواهر الاسماء الذاتية التي هي عين ذاته الأقدس، وكونه مطلسمًا: أي لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا هو تعالى، فإن من عادة الكنوز أن يوضع عليها أسماء روحانيين تُسمَّى بالطلسم، حتى لا يطَّلع عليها أحدٌ، ولا يظهر منها شيءٌ، إلا لمن كانت هي له، والطلسم هو طل اسم.

قال الشيخ: هو مقلوب مسلط، ففي الكلام استعارة، حيث شبَّه ذاته الأقدس المنطوية على أسمائه =

=
الذاتية التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحد، ولا يمكنه ذلك لغيبه بالكنـــز المطوي على النفائس التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحدٍ، ولا يُمكنه ذلك لوضع الطلسم: أي الحروف المهمات عليه، المانعة من الاطّلاع عليه.

فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمَّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك.

فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني».

أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لابد فيه من مخفي، ومخفي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًّا عليهم.

وفي الحديث: «كان الله و لم يكن معه شيء».

والجواب بأن للأشياء وجودين وجودًا علميًا، ووجودًا خارجيًا.

فالوجود العلمي: الأعيان الثابتة وهي أزلية قديمة.

والوجود الخارجي: محدث، فخفاء الحق تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل فلما أراد الله تعالى أن تعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمي إلى الوجود الخارجي لتعرف الله تعالى، يقتضي أن تعتبر الأعيان الثابتة مع الهوية الأحدية، وأن تساوقها، وليس كذلك بل الجواب الصحيح أن يقال: أن الخفاء كناية عن عدم عالم به سواه، فكأنه قال ﷺ:كنت كنـــزًا غير معلوم لأحدٍ سواي، على أن الأمور الذوقية، والأسرار الإلهية لا يلتفت فيها إلى مثل هذا الإيهام. وانظر: شرح الصلاة الأكبرية للقادري (ص١١٥) بتحقيقنا.

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنـــزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعـــرف المعـــرفة اللائقة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي - قال في «الفتوحات»: الصحيح كشفًا، الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معـــناه - «كنت كنـــزًا مخفيًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفون»، انتهى.

وذكره في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت
=

فكـــان التوجُّه الحبِّي الأول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامـــات الكمال أصل وهي له كالفروع، ولأجل أن المقام الأول الأصلي كان مخصوصًا بالموجود الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب؛ إذ لولا ذلك لما وُجـــد الخلق، ولولا الخلق لما عُرفت الأسماء والصفات والخلق، إنما ظهروا بواسطة الروح المحمَّدي كما سبق بيانه، فلولا الحقيقة المحمديَّة لم يكن خُلق، ولولا الخلق لم تظهر صفات الحـــق لأحـــدٍ، فلولا الحقيقة المحمَّدية لما عرف الله مخلوق ولا ظهرت صفاته لأحد؛ إذ لا أحد.

فالحـــبُّ هو الواسطة الأولى لوجود الموجودات ومحمد ﷺ هو الواسطة الأولى لظهور الموجودات كما بيَّناه فيما سبق.

---

= كنـــزًا مخفيًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفي كـــتاب «عقلة المستوفز» أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقـــال له عز وجل: كنت كنـــزًا مخفيًا لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني.

وذكـــره ســـيدي عـــلي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية»، وابن غانم المقدسي في كتابه: «حل الرموز» وجماعة بلفظ كنت كنـــزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبي عرفوني.

وذكره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيي الدين البوني ﷺ بلفظ: كنت كنـــزًا لا أعرف، فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم فبي عرفوني.

قالوا: ومعنى قوله: خلقت خلقًا. قدرت أعيانًا تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم علي، فـــبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل.

وقال الجيلي في «كمالاته» هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد.

وقد أجمع المحققون يعني من أهل الله تعالى على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى.

وأما ابن تيمية من حفاظ الحديث فذكر أنه: ليس من كلام النبي ﷺ وأنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه بدر الدين الزركشي، والحافظ ابن حجر وغيرهما.

وقد وافقهم مؤلف «الإبريز» وقال: إنه لم يقله النبي ﷺ.

ولعله أراد أنه لم يقله لفظًا، وإن كان له معنى، أو أنه من كلام الكتب الإلهية لا من كلامه عليه السلام راجعه وراجع «المقاصد الحسنة» للسخاوي رحمه الله. وانظر: جلاء القلوب (بتحقيقنا).

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: إن الله تعالى قال له ليلة المعراج:

« **لولاك لما خلقت الأفلاك**».

فعلم بذلك أن محمدًا ﷺ هو الذي كان المقصود بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز المخفي وأن جميع ما سواه كانوا عطفًا عليه، فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي وغيره كالفرع له، ولأجل ذلك خصَّه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره، وإنما أحبَّ الله تعالى أمته الذين اتَّبعوه بقوله:

﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

لأنهم مخلوقون منه كما قال ﷺ: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[١].

وهذه هي خصوصية من الله لأمة محمد دون غيرهم من سائر الأمم، فإن الله أنكر على من ادَّعى من الأمم الماضية أنهم أحباء الله، وأثبت المحبة لاتِّباع محمد ﷺ؛ لأن كل أمة مخلوقة من نبيِّها ولا حبيب إلا محمد ﷺ فاختصَّت أمته بمحبة الله دون غيرهم.

واعلم أن الحب على الإطلاق له تسع مراتب في الخلق ومرتبتان في الحق:

المرتبة الأولى: في الحق تسمَّى الحب باسمه ما لم تكن حركة لظهور أثرها، فإذا حصلت تلك الحركة سمِّي الحب إرادة، فالحب الحقيقي والإرادة الحقيقية لله تعالى، ومراتب الحب في الخلق أولها الميل وهو انجذاب القلب إلى المطلوب، وإذا زاد سمِّي رغبة فإذا زاد سمِّي طلبًاط، فإذا زاد سمِّي ولهًا، فإذا اشتدَّ ودام سمِّي صبابة، فإذا قوي واسترسل بالقلب في المعنى المراد سمِّي هوى، فإذا استولى حكمه على الجسد بحيث أن يفنى المحب عن نفسه سمِّي شغفًا، فإذا نما وظهرت علاماته بحيث أن يفنى المحب عن نفسه وعن فنائه سمِّي غرامًا، فإذا استحكم، وطفح، وظهر، وتمكَّن تمكنًا أفنى المحب عن نفسه وعن حبيبه أيضًا بحيث يبقى الأمر شيئًا واحدًا وهو الحبُّ المطلق سمِّي عشقًا.

وهذا أخر مقامات الخلق فيه، فيصير المحب في هذا المقام حبيبًا والحبيب محبًا، فيتلوَّن كل منهما بصورة الآخر، وذلك أن العاشق قد تمكَّنت روحه بصورة المعشوق، فتعلَّقت

(١) تقدم تخريجه، والكلام عليه.

بتلك الصورة الروحانية تعلّق التمازج، كما يتعلق الزاج[١] بالعفص[٢] فيستحيل الفك والمفارقة والانفصال بينهما كما قيل:

رَقَّ الزُجَاجُ وَرَقَّتُ الخمر فَتشَابِها فَتشَاكلَ الأمرُ

فَكأنَمَا خمرٌ ولا قَدحٌ وكأنما قَدحٌ ولا خمرُ

فهذه المراتب التسعة هي للخلق حقيقةً لا يقال أنها لله إلا من حيث أن وجود الخلق لله تعالى.

وأمَّا الحب والإرادة فهما لله تعالى حقيقة.

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي:

---

(١) الزاج: هذا أصناف ثلاثة: فمنه الزاج الأحمر ومنه القلقطار ومنه الزاج الأخضر. وهذه كلها فيها قوة تحرق مع قبض، وهذه الأنواع تختلف باللطافة والغلظ.

فأغلظها الأحمر ثم يليه القلقطار، ثم الأخضر، وكأن الأحمر مادة القلقطار أو قلقطار في طريق الكون، وكذلك نسبة القلقطار إلى الأخضر، وذلك مشاهد من أمرها في استحالة القلقطار إلى الأخضر وكذلك الأحمر إلى القلقطار.

وزعم جالينوس أنه لما دخل المعدن الذي كان في جزيرة قبرص ألفى فيه ثلاثة عروق ممتدة، فأسفلها الأحمر ثم القلقطار ثم الأخضر، وهذا الترتيب يدل منها على الذي قلناه وكأن نسبة الأخضر إلى القلقطار هي نسبة الزاج من النحاس، والزاج الأحمر قليل التلذيع للحم لغلظ جوهره والقلقطار والأخضر أكثر تلذيعا، والأحمر لا يذوب ولا الأخضر، والقلقطار يذوب، وذلك أن الأحمر جمد جمودا حجريا والأخضر أفرط عليه الطبخ.

(٢) عفص: شجر جبلي يقارب البلوط وهو غض مضرس وليس بمثقب، وهو حار يابس في الثانية وقيل برده في الأولى وقيل يبسه في الثالثة، يقال سبال يذهب بالسعال المزمن ويعقل البطن ويمنع خروج الأمعاء ويشد اللثة ويذهب بوجع الأسنان وسيلان الدم منها وقلاعها، ويدمل الجراحات وينفع من أورام الدبر ويسود الشعر وهو مجفف قابض يردع المواد المنحبة ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة، وشربه يضر الصدر ويصلحه الكثيراء، بدله قشر الرمان.

«لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فالحق تعالى يحب ويريد، فالحب والإرادة من شئون الله تعالى، وللحب مرتبة أخرى تظهر في الحق والخلق، ولهذا تسمَّى المرتبة الجامعة وهي: «مرتبة الود».

فإن الله يسمَّى الودود، فهو يودُّ مَن يشاء لعله والخلق يودُّونه، فالود مرتبة مشتركة تظهر بالقدم في القديم وبالحدوث في المحدث، والمودة من خصائصها الاشتراك لوقوعها من الجانبين.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

فالمودة تكون من الجهتين فهي اسمٌ للمحبة إذا ظهرت من المحب والمحبوب؛ لأن الشيء إذا كان بين اثنين لا يختص به واحد دون الآخر؛ بل هما مشتركان فيه، فالود يشترك فيه كل من الزوجين فإذا صار كل منهما محبًا للثاني محبوبًا له كانت المحبة والمودة بينهما ظاهرة وهو نهاية مراتب العشق في الظهور لأجل وقوعه من الجانبين فقط، وإلا فلا شيء في الخلق أعلى مرتبة من ظهور العشق؛ إذ هو نار الله الموقدة فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

## الباب السادس
## في كيفيِّة التعلُّق بجنابة والعكوف على بابه ﷺ

اعلم وفقنا الله وإيَّاك للوقوف ببابه والعكوف بجنابه أن الله تعالى لما أحبَّه ﷺ جعله شفيعًا لخلقه إليه يوم القيامة وليس لأحد من الخلق عموم الشفاعة سواه، وسرُّ ذلك أن الأنبياء لم يُبعثوا إلى كافة الخلق، وإنما بعثَ على كافة الخلق محمد ﷺ، فهو مقدمهم وراعيهم وكل راعٍ مسئول عن رعيته، فأوجب الله عليه الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم دنيا وآخرة، وما أوجب عليه إلا ما وفَّقه للقيام به، فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٤٦).

هي المقام المحمود يوم القيامة، وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة، قال الشاعر:

عَـــلى اللهِ في كُلِّ الأمُورِ تَوكُّلي وبالمصطفى الهَادي الشفيع توسُّلي

وبِالخمس مِن الألِبَّاء توسُّلي

يعني: تشفعي.

وهذا المعنى منـــزلة صورية في الجنة المسمَّاة بالفردوس الأعلى، وهي أرفع منازل الجنان، يكون هو ﷺ فيها ليحوي الكمال صورةً ومعنًا ظاهرًا وباطنًا كما سبق بيانه في أوائل هذه الرسالة، فلمَّا كان ﷺ واسطة الجميع في البداية للأجل الظهور، كان واسطتهم في النهاية؛ لأجل النعيم المقيم، فليس في الأزل والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خيرٍ لك، ولكل موجودٍ أحد سواه ﷺ.

فمن الأولى أن تتعلق بجنابه، وتعكف على بابه؛ ليحصل الميل من الجهتين فيسرع الوصول إلى المقصود.

ألا تراه قال ﷺ للأعرابي الذي تمنَّى عليه أن يكون رفيقه في الجنة:

**«أعني على نفسك بكثرة السجود»**(١).

فقوله ﷺ: «أعني» دليل على أنه أحب أن يشفع له إلى الله تعالى أن يكون رفيقه في الجنة، ولكنه أراد أن يكون الجذب من الجهتين؛ ليسرع وصوله إلى ذلك، فأمره أن يعينه على نفسه بالسجود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقق.

ولهذا كان دأب الأولياء الكمَّل رضوان الله عليهم أن يتعلَّقوا بجنابه، ويحطُّوا جباهم على بابه ﷺ، ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل مَن أراد الله تكميله حتى أنهم رضي الله عنهم إذا حضروا في بعض الحضرات الإلهية التي يمكنهم ألا ينظروا فيها إلى محمد ﷺ أسرعوا إلى توجيه المشاهدة إلى الأنوار الإلهية نحو الجناب المحمَّدي، وصرفوا إليه كلمة الحضرة الإلهية، وذهلوا عن كل ما تقتضيه حقائقهم من الكمالات الإلهية تأدُّبًا معه ﷺ

(١) رواه مسلم (٣٥٣/١).

فيحصل لهم ببـــركة هذه الحالة من الزيادة ما لا يمكن شرحه وذلك أنهم يسمعون ويشهدون حينئذ بالسمع والبصر المحمَّدي ما هو مناسب للقابلية المحمَّدية التي ليس في ذات أحد قوتها، فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة.

ومن ثَمَّ قال شيخنا الشيخ أبو الغيث بن جميل: خُضنا بحرًا وقف الأنبياء على ساحله يعني بذلك: بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولهذا مَن تحقَّق بالسنَّة المحمَّدية ظاهرًا وباطنًا خاض بحر الحقيقة المحمَّدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتِّباع المحمَّدي صورةً ومعنًا؛ لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض الحضرات بالقابلية المحمَّدية كما سبق بيانه، فإذا علمت ذلك وتحققته فالزم سبيل جنابه ولازم الوقوف ببابه، فإذا قلت: لا أدري كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم؟

قلنا: إن التعلُّق بمحمد ﷺ على نوعين:

**النوع الأول:** هو التعلُّق الصوري بالجناب النبوي، وهو على قسمين:

**القسم الأول:** هو الاستقامة على الكمال الاتِّباع له بمواظبة ما أمر به الكتاب والسنَّة قولاً وفعلاً واعتقادًا على ما هو عليه أحد الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي وابن حنبل رضي الله عنهم؛ إذ قد وقع إجماع العلماء المحققين بأن هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية إن شاء الله يوم القيامة، ومن كمال هذا القسم من الاتِّباع الصوري أن تعتمد فعل عزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص.

فإن الله أمر النبي بارتكاب العزائم في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

فأمَره أن يصبر صبرًا كصبر أولي العزم دون غيرهم، وقيل: إنهم خمسة صلوات الله عليهم وهم المذكورون بالتصريح في هذه الآية وهي: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى:١٣].

فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين هم أولو العزم من الرسل، فينبغي للتابع الكامل الاتِّباع أن يأتي بعزائم الأمور ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الرخص ولا مع ما أمر به ونُهي عنه، فإن ذلك مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصدِّيقيَّة، ومن شرطها اتِّباع النبي ﷺ في ارتكاب عزائم الأمور، ولن تقدر على ذلك كما ينبغي إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها، ولا يعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله تعالى يدلُّك على ذلك جميعه، ونعرفك ما هو اللائق بك في كل زمانٍ من الأعمال والأحوال.

ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنَّث في غار حراء الأيام الكثيرة، فلمَّا انتهى وعظم شأنه ترك التحنُّث في الغار، وبقى مع أصحابه طول السنة ما خلا العشر الأخيرة من شهر رمضان، ولا يتحقق للطالب معرفة اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد له على ذلك جميعه وبواسطة جذبٌ إلهي كاشف له عن ذلك، وليس لنا مع المجذوب كلام، كلامنا معك أيُّها العاقل الطالب للاتِّباع المحمَّدي، فينبغي لك أن تطلب شيخًا مرشدًا يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق موضعه، ولو قطَّعك البلاء إربًا إربًا، واحذر أن تعصيه أو تكتمه شيئًا من أمرك أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله تعالى في حقك؛ ليزيل عنك وخامة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجلٍ من أهل الله تعالى فالزم طريق أهل الله تعالى.

وجملة الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء:

**أحدها:** فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

**الثاني:** الإقبال على الله بالكلية بالقصد والمحبة المنـــزهة عن العدل من غير فتور ولا التفات ولا مَلل ولا طلب عِوض.

**الثالث:** دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى، وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظرًا واعتقادًا وعلمًا.

**الرابع:** دوام الذكر لله تعالى بالنظر إلى جلال الله وجماله سواء كان ذِكر اللسان أو ذِكر القلب أو ذِكر الروح أو ذِكر السر أو ذكر الجملة، وقد شرحناها في كتاب:

«غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوهات الأسماع» فمن أراد معرفة ذلك فليطالع هنالك، والله الموفق لا ربَّ غيره ولا معبود سواه.

## القسم الثاني من النوع الأول:

الذي هو التعلُّق الصوري هو أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى أن تجد ذوق محبَّتك له في جميع وجودك، فإني والله لأجد محبته له ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد.

هذا وأن حبَّه ﷺ فرضٌ واجبٌ على كل أحد.

قال الله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب:٦].

وقال ﷺ: «**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده**»(١).

فإذا لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك، فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله تعالى وتضرَّع إليه، وتُب من ذنوبك، وتولَّع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدُّب معه والقيام بما أمر مع الاجتناب ما نهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه؛ لأنه ﷺ القائل: «**المرء مع من أحب**»(٢).

يقول مسوِّد هذه الرسالة العبدُ الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسبًا، البغدادي أصلاً، الربيعي عربًا، الصوفي حسبًا:

إني أُشهد الله تعالى، وأُشهد ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه أني أحب محمدًا رسول الله ﷺ مؤثِرًا له على نفسي وروحي ومالي وولدي، وأجد لمحبته في قلبي وجسمي وشعري وبشري سريانًا ودُبيبًا محسوسًا لا ينكره مَن حصل له ذلك، وأنا استودع الله تعالى هذه المحبة لنبيه ﷺ؛ ليحفظها عليَّ إلى يوم القيامة وبعد أن ألقاه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وقد علمت بما ذكرته لك أن **النوع الأول** الذي هو في التعلُّق الصوري بالجناب النبوي ﷺ إنما هو القيام على ظاهر الشريعة وسلوك عزائم الطريقة والاسترسال في محبته بالكلية وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السرِّ والعلانية.

---

(١) رواه البخاري (١/١٩٦)، ومسلم (١/٩٧).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٢٨٣)، ومسلم (٤/٢٠٣٢).

ومن جملة التعظيم لشأنه ﷺ أن تتأدَّب مع أصحابه وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والإيثار لهم عليك، وأن تتأدَّب مع كافة أهل الله فإنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ، فإن سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى، فالله الله في محبتهم والتأدُّب معهم حق التأدُّب والله الموفق الهادي.

**النوع الثاني**: هو التعلق المعنوي بالجناب المحمَّدي ﷺ، وهو أيضًا على قسمين:

**القسم الأول**: هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حليتها في الذهن، والتأدُّب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة، فإن لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال وكنت قد رأيته وقتًا ما في نومك، فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم، فإن لم تكن رأيته قط ولم تستطع أن تستحضر تلك الصورة المشخَّصة الموصوفه بعينها فاذكره وصلِّ ﷺ، وكن في حال ذِكركَ كأنك بين يديه في حياته، فإنه متأدبًا بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء، فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته؛ لأنه متِّصف بصفات الله، والله جليس من ذكره، فللنبي ﷺ نصيبٌ وافر من هذه الصفة؛ لأن العارف وصفه وصف معروفه، وهو أعرف الناس بالله تعالى، فإن لم تستطع أن تكون بين يديه بهذا الوصف.

وكنت قد زرت يومًا ما قبره الشريف ﷺ، ورأيت روضته الشريفة وقبته العالية المنيفة فاستحضر في ذهنك قبره الشريف وتلك الحضرة السنيَّة كلما ذكرته ﷺ أو صليت عليه، وكن كأنك واقفٌ عند قبره الشريف ﷺ مع الإجلال والتعظيم على أن تشهد روحانيته ظاهرة لك.

فإن لم تكن زرت قبره رأيت موطن حضرته وروضته، فأدم الصلاة عليه[1]، وتصور

---

(١) قال الشيخ الأبشيهي: قال شيخ الإسلام النووي: ينبغي لمن دخل المسجد الشريف أن يصلِّي فِي الروضة الشريفة ركعتين، ثم يأتي القبر الشريف من ناحية قبلته، فيقف عند محاذاة تمام أربعة أذرعٍ من رأس القبر بعيدًا منه ويقف ويجعل القنديل عَلَى رأسه والمسمار الذي فِي حائط الحجرة الشريفة مضروب فِي رخامة حمراء محاذية القنديل، فمن قابل المسمار كان مواجهًا وجه النبيِّ ﷺ، وهو مسمارٌ من فضة، ويقف ناظرًا إِلَى أسفل ما يستقبله بنفسه من جدار القبر الشريف، غاضَّ الطَّرف فِي مقام الخشوع والإطراق والإجلال، ثم يسلم عَلَى النبيِّ ﷺ بقوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبيَّ الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا حبيب الله، =

=

السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيِّين، السلام عليك يا رسول ربِّ العالمين، السلام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك وعَلَى أهل بيتك الطاهرين، السلام عليك وعَلَى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعَلَى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعَلَى سائر الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله عنَّا يا رسول الله أفضل ما جازى نبيًّا عن قومه ورسولاً عن أمَّته، صلَّى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، وصلَّى الله عليك فِي الأولين، وصلَّى الله عليك فِي الآخرين أفضل وأطيب وأكمل ما صلَّى عَلَى أحد من الخلق أجمعين، كما أنقذنا بك من الضلالة، وبصَّرنا بك من العمى والجهالة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت فِي الله حقَّ جهاده، اللَّهُمَّ آته نهاية ما يؤمله الآملون، ثم يدعو لنفسه بما أحبَّ. وهذا ذكره السخاوي فِي «قوله البديع ».

ثم قال فِي ذكر بركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ عند وداعه ورؤية آثاره الشريفة:

قال النووي فِي «مناسكه الكبرى»: وإذا أراد الوداع يودِّعه بما قدَّمنا ذكره، ويسند إليه: السلام عليك، صلَّى الله وملائكته وأنبياؤه عليك يا رسول الله، استودَعَك محبٌّ من أحبابك، متوجِّهٌ بك، مشتغلٌ بمحبَّتك، وذاكرٌ لك فِي جميع المواطن، راغبٌ فيما جئت به من الكتاب العزيز، وما قلت من أخبارك، جزاك الله عنَّا خير السلام عليك وعَلَى صاحبيك؛ فإن الله تعالى يجيب من فعل هذا. قاله النووي.

ثم قال فِي ذكر الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ وبركتها عند رؤية مواطئ أقدامه ومواقفه الشريفة:

بدليل ما أخرجه البخاري فِي صحيحه من حديث عبد الله مولى أسماء: أنه كان يسمع أسماء رضي الله تعالى عنها تقول كلَّما مرَّت بالحجون: صلَّى الله عَلَى رسوله، لقد نزلنا معه ها هنا ونحن خفاف الحقائب. . وتبكي».

وكان الصديق إذا مرَّ بأثر مواطن أقدامه يصلِّي عليه مع الملإ من الصحابة، ذكر ذلك الطبراني فِي «معجمه».

وفِي كتاب «الدر النفيس» لابن عبد الحكم: الصلاة عليه ﷺ فِي موضع مواطن أقدامه من بابٍ أولى؛ فإنها شاهدةٌ، ولها فضلٌ عَلَى غيرها، وهذا نظرٌ خارقٌ.

وقال اللخمي من المالكية: رأيت رجلاً كان يصلِّي عليه كثيرًا فِي كلِّ موطنٍ، فرؤي فِي المنام يتبختر فِي الجنَّة، فقال له: بِمَ نلت؟ فقال: شهدت لي مواطئ أقدامه، وإنها أكثر نفعًا وأزيد أجرًا.

=

أنه يسمعك ﷺ، وكن إذ ذاك متأدبًا جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وأنت حاضرٌ بقلبك لديه فإن لجمع الهمة أثرًا، واستحي أن تذكره وتصلي عليه ﷺ وأنت مشغولٌ بغيره، فتكون صلاتك جسمًا بلا روح؛ لأن كل عملٍ يعمله العبد من أعمال البرِّ إذا كان منوطًا بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حيَّة، وإذا كان منوطًا بالغفلة وشُغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها.

ومن ثَمَّ قال مشايخنا رضوان الله عليهم: إن النيَّة روح العمل.

ولهذا قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١).

ولقد سمعت سيدي وشيخي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قَدَّس الله تعالى روحه في الجنة يومًا وهو يقول: إن العمل إذا صدر من العبد غير مقارن للنية في أوله، فإذا أراد أن يقصد به وجه الله فلينوي بعد الشروع فيه فإنه يكون ذلك سببًا لنفخ الروح فيه، ولوكان العبد قد نوى نيَّة قبيحة ثم تاب عنها في أثناء العمل، ونوى نيَّة صالحة غير تلك فإن ذلك أيضًا نافعٌ في حسن صورة العمل، ويكون العمل حيًّا كاملاً، ولقد صدق فيما قال ﷺ.

وقد علمت بما ذكرناه أن القسم الأول من التعلق المعنوي وهو استحضار صورته وما يتعلق بها مع ملازمة دوام التعلق بها بالهيبة مع الإجلال والتعظيم له ﷺ، فعليك بذلك ففيه السعادة الكبرى، والمكانة الزلفى والله الموفِّق.

**القسم الثاني**: من التعلُّق المعنوي هو استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف

=

وأظن هذا من الخشوع الذي يحصل للعبد عند رؤية مواطن أقدامه وآثاره الشريفة ﷺ

وقال صاحب المصباح: زيارة الصالحين ومواطن بدر ومواطن أقدامه يشفعون فِي زائرهم، ويعرفون من تأدَّب عندهم، وإن شهدا بدرًا زارهم ملأٌ من الصحابة، وإن الزائر المتأدب ينتفع بزيارهم، ذكر ذلك ملأٌ من العلماء.

وانتفع من حيثية الزائر هو أن يتذكر ما كانوا عليه، وما يهدى لهم من القرآن، وما يحصل لهم من الثواب ببركة الصلاة عَلَى النبيِّ ﷺ، ووظائف الخير فِي هذه المواطن والصلاة عليه خير الوظائف انتهى.

(١) رواه البخاري (١/٣)، ومسلم (٣/١٥١٥).

الكمال الجامعة بين الجمال والجلال المتحلّية بأوصاف الله الكبير المتعالِ، المشرَّفة بنور الذات الإلهية في الأباد والأزال المحيطة بكل كمالٍ حقي وخلقي المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورةً ومعنًا، حُكمًا وعينًا، غيبًا وشهادةً، ظاهرًا وباطنًا، ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ هو البرزخ الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث، فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتًا وصفاتًا؛ لأنه مخلوقٌ من نور الذات والذات جامعة لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكمًا وعينًا.

ومن ثَمَّ قال الله تعالى في حقِّه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٨، ٩].

وإني سأنزل لك حقيقة معنى هذه الآية الشريفة المفصحة عن كمالاته المنيفة ﷺ إنزالاً مثاليًا يتصور لك في الذهن برؤية هذا المثال تحقيق معناها إن شاء الله تعالى.

اعلم أولاً أن الوجود كله كدائرة واحدة مقسومة في النصف بخطٍ يمرُّ على مركز الدائرة، فالنصف الأعلى منها يسمَّى بالوجود القديم والواجب والحق، وتعالى الله عن التقسيم والانقسام.

والنصف الأسفل منها يسمَّى بالوجود المحدث والممكن والخلق، فكل نصف من الدائرة قوس، والخط الواحد وتر ذلك القوس، فالخط وتر قوس الدائرة وبه تقوَّس كل نصف على ما هو عليه، فقسم هذا الخط الذي هو الوتر قاب قوسين.

فاعلم أن المقام المحمَّدي هو الجامع للكمالات الإلهية والكمالات الخلقية صورةً ومعنًا وقد مثّلنا هذه الدائرة في الكتاب المتقدِّم على هذا الكتاب من حيث التجزئة، وإنما كان ﷺ برزخًا بين الحقائق الحقيَّة والحقائق الخلقية؛ لأنه حقيقة الحقائق جميعها ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش، وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق، فعند استوائه ﷺ كانت المخلوقات بأسرها تحته وربه فوقه، فصار برزخًا بين الحق والخلق بالصورة المحسوسة كما كان برزخًا بالمعنى؛ لأنه الموجود من الحق والخلق موجودون منه ﷺ، فهو المتَّصف بكلتي الصفتين من كلتي الجهتي صورةً ومعنًا، حُكمًا وعينًا، فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمَّدي كما هو له إن شاء الله.

# تنبيه

اعلم أن الحقيقة المحمَّدية ظهورًا في كل عالم يليق بحال ذلك العالم، فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح؛ لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم

الأرواح، وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى، فإن عالم المعنى ألطف من عالم الروح وأوسع ثم ليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء وليس ظهوره في السموات كظهوره عن يمين العرش، وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله سبحانه وتعالى فوق العرش؛ حيث لا أين ولا كيف؟ فكل مقامٍ أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأنزل، ولكل ظهورٍ جلالٍ وهيبة بقدر المحل حتى يتناهى إلى محلٍ لا يستطيع أن يرى فيه أحدًا من الأنبياء والأولياء.

وذلك معنى قوله ﷺ: «**لي وقتٌ مع الله لا يسعني فيه غير ربي**».

وفي رواية: «**لي وقتٌ مع الله لا يسعني فيه مَلكٌ مقرَّب ولا نبيٍ مُرسل**»(١) (٢)

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٢٢٦).

(٢) قال سيدي عبد الكريم الجيلي: فالأنبياء والأولياء والملائكة وسائر المقربين من سائر الموجودات ليس عندهم من المعرفة الذاتية ومحمَّدٌ ﷺ الذي هو قلب الوجود هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الذاتية، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «لي وقتٌ مع ربِّي لا يسعني فيه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ» اهـ.

وذكر الشيخ في هذا المؤلَف العظيم اتصاف سيدنا ﷺ بجميع الأسماء الحسنى، وجعل يذكر الأدلة على ذلك الكمالات (ص ١١٥، ١١٦)، وانظر: محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار للأبشيهي (ص٣٦٥) بتحقيقنا.

وقال الشيخ محمد بن عمر القادري: هو هنا عبارة عن الحال الذي يقتضيه الاستعداد الغير المجعول، ويطلق في اصطلاح الصوفية أيضًا على ما يُردُّ على العبد، ويتصرَّف فيه، ويمضيه بحكمة من خوف أو حزن، ولذلك قيل: الوقت سيف؛ لأنه يقطع الأمر بحكمة، ويقال: فلان يحكم الوقت.

وقد يُراد بالوقت: ما حصل من الزمان المسمَّى بالحال، يقال: فلان مشتغل بوظيفة الوقت: أي يعمل في كل حالٍ ما لا يسوغ فيه إلا ذاك، وفيه قيل من أهل وظيفة الوقت، فوقته مقت.

(مع الله) معيَّة خاصة ليست في الاستعداد غيري.

=

فارفع همتك يا أخي لتراه في مظاهره العُليا بمعانيه الكبرى، فإنما هو هو.

**إشارة:** أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ﷺ، ولو كنت متكلّفا مستحضرًا فعن قليل تتألف روحك به، فيحضر لك ﷺ عيانًا تجده، وتحدثه، وتخاطبه فيجيبك، ويحدثك، ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة رضي الله عنهم، وتلحق بهم إن شاء الله تعالى.

* * *

# الباب السابع

## في ثمرة ملازمة تلك الحضرة اللطيفة بمعانيها العزيزة المنيفة، وملاحظة ذلك ولو بالتصور والتخيل والتفكر

اعلم أيّدك الله وإيَّاك بروح القدس ولا أخلي الجميع من بسطه وأُنسه أن ثمرة العكوف

---

=

وتتمة الحديث: «لايسعني فيه ملك مقرَّب، ولا نبيٌ مرسل(٢)»، فدخل المهيمون من الملائكة أيضًا.

ولا يَرد ما قال شيخنا المؤلف في الباب الثامن والتسعين والمائة من «الفتوحات»:

إنما كنت أذهب إلى تفصيل الملأ الأعلى من الملائكة على خواص البشر؛ لأن رسول الله ﷺ أعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي، وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسألة إلى مذهب جملة واحدة؛ لأن الشيخ عبد الكريم الجيلي قُدِّس سرُّه قال: إن الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة.. انتهى.

وصرَّح قُدِّس سرُّه في الباب الثمانين وثلاثمائة من «الفتوحات المكيَّة»: إن نبيَّنا ﷺ أفضل من الملائكة، ومن سائر الرسل، وسكت عمَّن عداه.

وقال الشيخ عمر العطار: واعلم أن عند هذه الخلوة يكون الصعق وهو: الفناء عند التجلي الربَّاني كما ذكر ذلك حضرة الشيخ في الأسئلة، ويقابل هذه الخلوة الجلوة وهي: خروج العبد من هذه الخلوة بنعوت الحق، فيحرق ما أدركه بصره.

عليه هي الوصول إليه، ألا تراه ﷺ يقول وهو أصدق القائلين:

«أكثركم عليَّ صلاةً أقربكم مني يوم القيامة»[١].

وذلك أن المصلِّي عليه ﷺ كثير لا بد أن يتعلَّق به خاطره فيتعشَّق قلبه بالصورة الروحانية تعشقًا يُوجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ، فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ.

وثم **نكتة أخرى** وهي:

ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: **«إن الدَّاعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة: ولك مثله»**[٢].

ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول؛ لأنهم معصومون، فيصلي الله على المصلي فترجع صلاة المصلي على نفسه.

ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ أن مَن صلَّى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه: أي المصلَّى بها عشر، ولهذا يحصل المصلي في حقيقة القرب فيحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر؟ وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال، كما ورد في اللغة.

فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر[٣] هل يكون إلا معه عند الله؟ لأن نتيجة

---

(١) رواه البزار في مسنده (٤/٢٧٨)، وأبو يعَلى فِي مسنده (٩/١٣) بنحوه وقال فِي الجامع الصغير: قَالَ ﷺ: «أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً أقربُكُمْ منِّي غدًا».

وبلفظ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي أكثرُهُمْ عليَّ صلاةً» رواه الترمذي (٢/٣٥٤).

وحديث «أقربُكم منِّي يومَ القيامةِ فِي كلِّ موطنٍ أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً فِي الدُّنيا» عن أنس ﷺ، وزاد فيه: «فإنَّ الصلاةَ عليَّ نورٌ يوم القيامة عَلَى الصِّراط» رواه البزار فِي مسنده (٤/٢٧٨)، والبيهقي فِي الشعب (٣/١١١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (ص٢٥٢).

(٣) **قال سيدي محمد وفا** ﷺ **وعنَّا به**: السر هو ما يخفى في البيان، وحقيقته: معنًى يُعْجِز عن تصور ما هو الفكر البشري، وغايته: وجدانٌ يقوم بالقلب لا يمكن التعبير عنه بوجهٍ من الوجوه.

عليه هي الوصول إليه، ألا تراه ﷺ يقول وهو أصدق القائلين:

«أكثركم عليَّ صلاةً أقربكم مني يوم القيامة»(١).

وذلك أن المصلّي عليه ﷺ كثير لا بد أن يتعلّق به خاطره فيتعشّق قلبه بالصورة الروحانية تعشقًا يُوجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ، فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ.

وثم **نكتة أخرى** وهي:

ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: **«إن الدَّاعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة: ولك مثله»**(٢).

ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول؛ لأنهم معصومون، فيصلي الله على المصلي فترجع صلاة المصلي على نفسه.

ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ أن مَن صلّى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه: أي المصلّى بها عشر، ولهذا يحصل المصلي في حقيقة القرب فيحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر؟ وليس الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال، كما ورد في اللغة.

فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر(٣) هل يكون إلا معه عند الله؟ لأن نتيجة

---

(١) رواه البزار في مسنده (٤/٢٧٨)، وأبو يعَلى في مسنده (٩/١٣) بنحوه وقال في الجامع الصغير: قَالَ ﷺ: «أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً أقربُكُمْ منِّي غدًا».

وبلفظ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي أكثرُهُمْ عليَّ صلاةً» رواه الترمذي (٢/٣٥٤).

وحديث «أقربُكم منِّي يومَ القيامةِ فِي كلِّ موطنٍ أكثرُكُمْ عليَّ صلاةً فِي الدُّنيا» عن أنس ﷺ، وزاد فيه: «فإنَّ الصلاةَ عليَّ نورٌ يوم القيامة عَلَى الصِّراط» رواه البزار فِي مسنده (٤/٢٧٨)، والبيهقي فِي الشعب (٣/١١١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (ص٢٥٢).

(٣) **قال سيدي محمد وفا** ﷺ **وعنّا به**: السر هو ما يخفى في البيان، وحقيقته: معنًى يُعْجز عن تصور ما هو الفكر البشري، وغايته: وجدانٌ يقوم بالقلب لا يمكن التعبير عنه بوجهٍ من الوجوه.

العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ القرب بالمكان هو في الجنة، ونتيجة العمل الباطن وهو التعليق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ، ومعناه القرب بالمكانة وهو عند الله في مقعد صدقٍ حيث لا أين ولا كيف، فافهم.

## إشارة:

اعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره على أنه لا ينساه، وكلما ازدادت معرفته في رسول الله ﷺ اضطرب وظهرت عليه الآثار عند ذكر النبي ﷺ.

وذلك أن معرفة الولي لله إنما هو على قدر قابلية الولي ومحتده في الله، ومعرفته للنبي ﷺ شرب من معرفة الله على قدر قابلية النبي ﷺ، ولهذا لا يطيق أن يثبت له وتظهر عليه الآثار؛ لأنه من فوق أطواره، وكلما ازداد الولي في النبي ﷺ معرفة كان أكمل من غيره، وأمكن في الحضرة الإلهية، وأدخل في معرفة الله على الإطلاق.

**بشارة**: من خصائص النبي ﷺ أن كل مَن رآه من الأولياء في تجلٍّ من التجليات الإلهية لابسًا لخلعة من الخلع الكمالية، فإنه ﷺ يتصدَّق بتلك الخلعة على الرائي، وتكون له، فإن كان قويًّا أمكنه لبسها على الفور، وإلا فهي مدَّخرة له عند الله يلبسها له متى تقوى واستعد، إما في الدنيا وإما في الآخرة، فمن حصل له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا أو في الآخرة تكون له من النبي ﷺ هذه الفتوة.

فكل من رأى ذلك الولي في تجلٍّ من التجليات، وعليه تلك الخلعة النبوية، فإنه يخلعها ويتصدق بها عن النبي ﷺ على الرائي الثاني، وينـــزل للولي الأول من المقام المحمدي خلعة أكمل من تلك الخلعة، عوض ما تصدق بها عن النبي ﷺ.

فإن أمكن أن يراه فيه أحدٌ بعد ذلك خلعها عليه، وحصلت له أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية له، صدقة نبوية محمدية هاشمية جرت سنة محمد ﷺ بذلك من الأزل، عند أخذ الله له العهد على الأنبياء عليهم السلام حتى نالوا بذلك مقام النبوة الشريفة التي قصرت أيادي الأولياء عن نيلها؛ لأن رؤية الأولياء له ﷺ إنما وقعت بعد تلك الرؤية في ذلك المحل ولأجل هذا فازت الأنبياء صلوات الله على نبيِّنا وعليهم بدرجة السعادة التي ليست لغيرهم؛ لأنهم أول من رأوه في أكمل خِلقه له، ولم تزل هذه الفتوى دأبه عادةً لسائر من

يراه من الأولياء إلى أبد الآبدين.

ولتكن هذه المقالة آخر هذه الرسالة والله الموِّفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

**والحمد لله رب العالمين**

وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد الثاني والعشرون من شهر محرم سنة ألف ومائة وأربعة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

* * *

# الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الموضوعات.

# فهرس الموضوعات